المراثي

رثاء عثمان[1] السيد أباظه بك

سنة ١٨٩٦ م

رُدَّا كُؤوسَكُما عن شِبْهِ مَفْؤُودِ * فليس ذٰلك يومَ الرّاح والعُودِ[2]

ياساقِيَيَّ أَرانِي قد سَكَنْتُ إلى * ماءِ المَدامِعِ عن ماءِ العَناقِيدِ[3]

وبِتُّ يَرْتاحُ سَمْعِي حين يَفْتُقُه * صَوْتُ النَّوادِبِ لا صَوْتُ الأَغارِيدِ[4]

فَأَمْسِكا الرّاحَ إنّي لا أُخامِرُها * وبَلِّغا الغِيدَ عَنِّي سَلْوَةَ الغِيدِ[5]

ثم امْضِيا ودَعانِي إنّني رَجُلٌ * قد آلَ أَمْرِي إلى هَمٍّ وتَسْهِيدِ

أَبَعْدَ (عُثْمانَ) أَبْغِي مَأْرَبًا حَسَنًا * مِنَ الحَياةِ وحَظًّا غَيْرَ مَنْكُودِ؟

---

(١) عثمان أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، ولد فى سنة ١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية، ثم مدرسة الإدارة والألسن، وهى مدرسة الحقوق فى أول عهدها؛ وتولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوى مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية، وبعد أن تقلد عدّة أعمال أخرى استقال منها، وأقام ببلده (الربعمائة) باقليم الشرقية؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء، وكان حافظ ابراهيم بك كثير التردد عليه، وتوفى سنة ١٨٩٦ م. وكان أبوه السيد أباظه باشا أوّل من نال لقب (باشا) من المصريين العرب. (٢) المفؤود: مصاب الفؤاد. والراح: الخمر. (٣) سكن الى الشيء: استراح اليه وأنس به. ويريد بماء العناقيد: الخمر. (٤) يفتقه، أى يشقه وينفذ فيه، والأغاريد: جمع أغرودة، وهى الأغنية. (٥) لا أخامرها، أى لا أخالطها. والغيد: جمع غيداء، وهى المرأة المتثنية ليّنا ونعمة.

إنّى ليَحْزُنُنِي أنْ جاءَ يَنْشُدُه * داعِي المَنُونِ وأنّى غيرُ مَنْشُودِ (١)

أمْسَتْ تُنافِسُ فيك الشُّهْبَ مِنْ شَرَف * أرْضٌ تَوارَيْتَ فيها يافَتَى الجُود (٢)

لوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأنْبِياءُ لَها * قُلْنا بأنَّك فيها خيرُ مَلْحُود

ووَدَّت الرِّيحُ لو كانت مُسَخَّرَةً * لِحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأماجِيد (٣)

والشمسُ لو أنّها مِن أفْقِها هَبَطَتْ * وآثَرَتْ مَعْكَ سُكْنَى القَفْرِ والبِيد

وقد تَمَنَّى الضُّحى لو أنّهُمْ دَرَجُوا * هٰذا الفَقِيدَ بثَوْبٍ منه مَقْدُود (٤)

يا راحِلاً أكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وَما * أكْبَرْتَها عند تَلْيِينٍ وتَشْدِيد (٥)

أبْكَيْتَ حتّى العُلا والمَكْرُماتِ وما * جَفَّتْ عليكَ مَآقِي الخُرَّدِ الخُود (٦)

وباتَ آلُكَ والأصْحابُ كُلُّهُمُ * عليكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ ومَعْمُود (٧)

يَبْكُونَ فَقْدَ امْرِئٍ للخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بالإشْرِ مُنْتَقِبٍ فى النّاسِ مَحْمُود (٨)

(بَنِي أباظَةَ) لا زالت دِيارُكُمُ * أفْقَ البُدُورِ وغاباً للصَّناديد (٩)

---

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته . (٦) يريد بالمآقى : العيون . والخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ، شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباظة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طيئ (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق الى مصرمع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباظه لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباظه ، فنسبوا إليها .

لا قَـدَّرَ اللهُ بعـــد اليـومِ تَعْـزِيَةً * إلّا هَنـاءً عـلى عِزٍّ وتَخْلِيـدِ
وعَظَّمَ اللهُ فى (عُثْمانَ) أجْـرَكُمُ * فى رَحْمَـةِ اللهِ أمْسَى خَـيْرَ مَعْمُودِ

رثاء سليمان أباظه باشا (١)

[قيلت فى سـنة ١٨٩٧ م]

أيُهـذَا الثَّرَى إلامَ التَّمـادِى * بَعْـدَ هٰذا أأَنْتَ غَرْثانُ صادِى (٢)
أنتَ تَرْوَى مِنْ مَدْمَعٍ كلَّ يومٍ * وتُغَـذَّى مِنْ هٰـذه الأَجْسـادِ
قد جَعَلْتَ الأَنامَ زادَكَ فى الدَّهْـ * ـرِ وقـد آذَنَ الوَرَى بالنَّفـاد
فالْتَمِسْ بعـدَهُ المَجَـرَّةَ وِرْدًا * وتَزَوَّدْ من النُّجـومِ بزَاد (٣)
لَسْتُ أَدْعُـوكَ بالتُّرابِ ولكنْ * بقُـدُودِ المِـلاحِ والأَجْيـاد (٤)
بُخُدودِ الحِسانِ ، بالأَعْيُنِ النُّجْـ * ـلِ ، بتِلْكَ القُـلُوبِ والأَكْباد (٥)
لَمْ تَلِدْنا (حَـوّاءُ) إلّا لنَشْـقَى * لَيْتَهـا عاطِلٌ مِن الأَوْلاد
أَسْلَمَتْنـا إلى صُرُوفِ زَمانٍ * ثمّ لَمْ تُوصِهـا بِحِفْظِ الوِداد (٦)

---

(١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرثان : الجائع . والصادى : الظمآن . يريد مداومة الثرى على مـوارارة الأجساد وإبلاء الجسوم .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قد ، وهو القامة . والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فنيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسـعة .

(٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

أيُّها اليَمُّ كَمْ بِقاعِكَ نَفْسٍ * فِيكَ أَوْدَتْ مِنْ عَهْدِ ذِى الأَوْتادِ (١)

قد تَحالَفْتَ والتُّرابَ عَلَيْنا * وتَقاسَمْتُما فَناءَ العِبادِ

خَبِّرينا جُهَيْنَ لا تَكْذِبِينا * ما الَّذى يَفْعَلُ البِلَى بالجَوادِ؟ (٢)

كَيْفَ أَمْسَى وكيفَ أَصْبَحَ فيه * ذٰلِكَ المُنْعِمُ الكثيرُ الرَّمادِ (٣)

رَحِمَ اللهُ منه لَفْظًا شَهِيًّا * كانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الأَعادِى

رَحِمَ اللهُ منه طَرْفًا تَقِيًّا * ويَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الغَوادِى (٤)

رَحِمَ اللهُ منه شَهْمًا وَفِيًّا * كانَ مِلْءَ العُيونِ فى كلِّ نادِى (٥)

أَلْهَمَ اللهُ فيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كلَّ مَنْ باتَ ناطِقًا بالضَّادِ

بِتَّ فى حُلَّةِ النَّعِيمِ وبِتْنا * فى ثِيابٍ مِنَ الأَسَى والسُّهادِ (٦)

وسَكَنْتَ القُصورَ فى بَيْتِ خُلْدٍ * وسَكَنَّا عليكَ بَيْتَ الحِدادِ

---

(١) اليم : البحر . و « نفس » (بالجر) على قول بعض النحويين ، والنصب أرجح ، للفصل بين « كم » وتمييزها بالجارّ والمجرور . وأودت : هلكت . وذو الأوتاد : لقب لفرعون ورد ذكره فى القرآن .

(٢) جهين ، يريد جهينة ، وهى قبيلة من قضاعة . ويشير الشاعر إلى المثل المعروف : « وعند جهينة الخبر اليقين » . يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها ، وأصله من قول الشاعر :

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد : الكريم .

(٣) فيه ، أى فى « البلى » السابق فى البيت الذى قبله . وكنى " بكثرة الرماد " عن سعة جوده ، وكثرة إطعامه للناس .

(٤) الغوادى : السحب تنشأ غدوة ؛ الواحدة غادية .

(٥) ملء العيون ، كناية عن هيبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه .

(٦) الأسى : الحزن .

وقال يرثيه أيضا :

لا والأَسَـــى وتَلَهُّبِ الأَحْشَـاءِ * ما باتَ بَعْـــدَكَ مُعْجَبٌ بوَفَاءِ (١)

أَنَّى حَلَلْتُ أَرَى عليـــكَ مآتِمًـا * فلِمَنْ أُوَجِّهُ فيـــكَ حُسْنَ عَزائى؟

لِبَنِيكَ ، أم لِذَوِيكَ ، أم للكَوْنِ ، أمْ * للدَّهرِ ، أمْ لجمَـاعةِ الجَـوْزاء؟ (٢)

أَوْدَى (سُـــلَيْمانٌ) فأَوْدَى بَعْـــدَه * حُسْنُ الوَفاءِ وبَهْجَـةُ العَلْيَـاء (٣)

لا تَحْمِـــلُوه على الرِّقابِ فقـــد كَفَى * ما حُمِّلَتْ مِنْ مِنَّـــةٍ وعَطَـاء

وذَرُوا على نَهْـــرِ المَدامِـعِ نَعْشَـــه * يَسْرِى بـــه للرَّوْضَـــةِ الفَـــيْحاء (٤)

تاللهِ لو عَلِمَتْ بـــه أَعْـــوادُه * مُـــذْ لامَسَـــتْه لأَوْرَقَتْ للـرَّائى (٥)

خُلُقٌ كَضَوْءِ البَدْرِ، أو كالرَّوْضِ، أو * كالزَّهْرِ ، أو كالخَمْرِ ، أو كالمَـاء

وشَمَـائِلٌ لو مازَجَتْ طَبْـــعَ الدُّجَى * ما باتَ يَشْـــكُوه المُحِبُّ النـائى (٦)

ومَحَامِـــدٌ تَسَـــجَتْ له أَكْفانَه * مِنْ عِفَّـــةٍ ، وسَمَـاحَـــةٍ ، وإِبَاء

ومَنَـاقِبٌ لـــولا المَهَـابةُ والتُّـــقَى * قُلْنَـا مَنَـاقِبُ صاحِبِ الإِسْراء (٧)

وعَزائِمٌ كانت تَفُـــلُّ عَزائِمَ الـ * ـأَحْـــدَاثِ ، والأيّامِ ، والأَعْـــدَاء (٨)

---

(١) الأسى : الحزن . وقوله : « ما بات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد « بجماعة الجـوزاء » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وسجايا ما شكا العاشق طوله عليه وسهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) تفل : تثلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَطَّلْتَ فَنَّ الشِّعْرِ بَعْدَكَ وٱنطَوَى * أَجَلُ القَرِيضِ وَوَسْمُ الشُّعَرَاءِ

واللُّؤلُؤ ٱستَعْصَى علينا نَظْمُه * بِسُمُوطِ مَدْحٍ أو سُمُوطِ هَناء (١)

إلّا على طَرْفٍ بَكاكَ وشاعِرٍ * أَحْيا عليكَ مَرَاثِيَ الخَنْساء (٢)

شَوَّقْتَنا للتُّرْبِ بَعْدَكَ واشتَهَى * فيه الإقامةَ واحِدُ العَذْراء (٣)

ثَبِّتْ فُؤادَكَ يا قَلِيلَ تَصَبُّرِى * وٱشرحْ (لآلِ أَباظَةٍ) بُرَحائى (٤)

فى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ باتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْفًا بساحَةِ أكرَمِ الكُرَماء

رثاء الملكة ڤكتوريا (٥)

[نشرت فى ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعَزِّى القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزائِى * وأُعْلِنُ فى مَلِيكَتِهِمْ رِثائِى

وأَدْعُو الإنْجِلِيزَ إلى الرِّضاءِ * بِحُكْمِ ٱللهِ جَبّارِ السَّماءِ

فكُلُّ العالَمِين إلى فَناءِ

---

(١) السموط : جمع سمط (بالكسر)، وهو خيط النظم مادام فيه الحب، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .

(٢) الخنساء، هى تماضر بنت عمرو بن الحارث، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها ؛ وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر، فضرب بها المثل فى الحزن . وقد شبت فى الجاهلية، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت فى أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٤ هـ .

(٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام، إشارة الى أنه فى السماء، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها . (٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .

(٥) الملكة ڤكتوريا، هى الكسندرينا بنت ادوارد، وهو الدوق كنيت، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م، وتولت عرش انجلترا فى سنة ١٨٣٧ م، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

obeikandl.com

أَشَمْسُ ٱلْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهـارِ * هَوَتْ أَمْ تلك مالِكَةُ البِحارِ

فطَرْفُ الغَرْبِ بالعَبَرَاتِ جَارِى (١) * وعَيْنُ الـيَمِّ تَنْظُر للبُخار

بنَظْـرَةِ واجِدٍ قَـلِقِ الرَّجاءِ

أَمالِكَةَ البِحارِ ولا أُبالِي * إذا قالوا تَعَـالَى فى ٱلْمَقـالِ

فِمْثْل عُلاكِ لَمْ أَرَ فى ٱلْمَعـالى * ولا تاجًا كتاجِكِ فى ٱلْجَـلالِ

ولا قَوْمًا كقَوْمِكِ فى الدَّهاءِ

مَلَأْتِ الأَرْضَ أَعْلامًا وجُنْدَا (٢) * وشِدْتِ لأُمَّةِ (السَّكْسُونِ) مَجْدَا

وكنتِ لِفَأْلِها يُمْنًـا وسَـعْدَا (٣) * تَرَى فى نُورِ وَجْهِكِ إنْ تَبَدَّى

سُعُودَ البَـدْرِ فى بُرْجِ ٱلْهَناءِ

وكنتِ إذا عَمَدْتِ لأَخْذِ ثارِ (٤) * أَسَلْتِ البَرَّ بالأُسْـدِ الضَّوارِى

وسَيَّرْتِ المَدائِنَ فى البِحارِ (٥) * وأَمْطَرْتِ العُدُوَّ شُـواظَ نارِ

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ فى ٱلْهَـواءِ (٦)

---

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق ، من الدنمارك وشمالى المانيا الغربى ، بعـد جلاء الرومان عنها سـنة ٤١٠ م . وقد انتشروا فى الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فر إلى جبال الغالة أو الى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر فى ولايات مسـتقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وٱعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهى ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها فى أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضوارى : الجريئة التى تعوّدت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهيبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزاءها فى الهواء .

أعَزِّى فيكِ تاجَكِ والسَّرِيرَا (١) * أُعَزِّى فيكِ ذا المَلِكَ الكَبِيرَا
أعَزِّى فِيكِ ذاالأَسَدَ المَهصُورا (٢) * على العَلَمِ الَّذى مَلَكَ الدُّهورَا
وظَلَّلَ تَحْتَــه أَهْــلَ الوَلاءِ
أُعَزِّى فيــكِ أَبْطالَ الــعِزَّاِ (٣) * ومَنْ قَاسُوا الشَّدائِدَ فى القِتالِ
وأَلْقَوْا بالعَــدُوِّ إلى الوَبالِ (٤) * ولَمْ يَمْنَعْهُمُ فــوقَ الجِبَــالِ
لَهِيبُ الصَّيْفِ أو قُرُّ الشِّتاءِ (٥)

بيتان كتبا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبى (٦)

فى ســـنة ١٩٠٢م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هُنَا مَهْبِطُ التُّقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هُنَا خَيْرُ كاتِبِ
قِفُوا واقْرَءُوا أُمَّ الكِتَابِ وسَلِّمُوا (٧) * عليه فهٰذا القَبْرُ قَبْرُ (الكَوَاكِبى)

---

(١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .

(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والهصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ، بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .

(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعاهم عن تسلق الجبال .

(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبى بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح فى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند ، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفى فى سنة ١٩٠٢ م

(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

obeikandl.com

رثاء محمود سامى البارودى[1] باشا

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

رُدُّوا عَلَىَّ بَيانِى بَعْـــدَ (محمودِ)[2] * إِنِّى عَيِيتُ وأَعْيا الشِّعْرُ مجهودِى

ما لِلبلاغَـــةِ غَضْبَى لا تُطاوِعُنى * وما لِحَبْلِ القَـوافِى غيرَ مَمْدُودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِى صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ[3] * فأَسْلَمَتْنِى الى هَـــمٍّ وتَسْهِيـــدِ

ولو دَرَتْ أَنَّ هَـذا الخَطْبَ أَخْمَنِى[4] * لأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِى كلَّ مَعْقودِ

لَبَّيْـكَ يامُؤْنِسَ المَـوْتَى ومُوحِشَـنا[5] * يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ والجُـودِ

مُلْكُ القُلوبِ — وأنتَ المُسْتَقِلُّ به — * أَبْقَى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابنِ داوُدِ)[6]

لقـــد نَزَحْتَ عن الدُّنيـا كما نَزَحَتْ[7] * عنها لَيـالِيكَ مِنْ بِيضٍ ومِنْ سُـودِ

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وازْدَرَيْتَ بِهـا[8] * قَبْـلَ المَماتِ ولَمْ تَحْفِـلْ بِمَوْجُودِ

لَبَّيْـكَ ياشاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به[9] * على النُّهَى والقَـوافِى والأَناشِـيدِ

---

(١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، ى أعيدوه الى بعد أن عزب عنى من هول المصاب . وعيى يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .

(٣) أى ظنت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودّته وتناسيا لصحبته فتركتنى أعذب بالهم والسهر . (٤) أخمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد «بابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثـل فى سعة الملك .

(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعز والجاه ، وأخرى شقى فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المـال والنفى . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيد كان قد كف بصره فى آخر حياته فعاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها ، ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : العقول ؛ الواحدة نهية (بالضم) .

تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثْنَاءِ مَنْطِقِه * تَحْتَ الفَصاحَةِ جَرْىَ المَاءِ فى العُودِ (١)

فى كُلِّ بَيْتٍ له ماءٌ يَرِفُّ بِه * يَغارُ مِنْ ذِكْرِه ماءُ العَناقِيدِ (٢)

لو حَنَّطُوكَ بِشِعْرٍ أنت قائِلُه * غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُودِ

حَلَّيْتَه بعد أنْ هَذَّبْتَه بِسَنَا * عِقْدٍ بمَدْحِ رَسُولِ اللهِ مَنْضُودِ (٣)

كَفاكَ زادًا وزَيْنًا أن تَسِيرَ إلى * يومِ الحِسابِ وذاكَ العِقْدُ فى الجِيدِ (٤)

لَبَّيْكَ يا خَيرَ مَنْ هَزَّ اليَراعَ، ومَنْ * هَزَّ الحُسامَ، ومَنْ لَبَّى، ومَنْ نُودِى

إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعَتْ * لكَ الفَضِيلَةُ رُكْنًا غيرَ مَهْدُودِ (٥)

إنّ المَناصِبَ فى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ * غيرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيدِ

أكْرِمْ بها زَلَّةً فى العُمْرِ واحِدَةً * إنْ صَحَّ أنَّكَ فيها غيرُ مَحْمُودِ (٦)

سَلُوا الحِجا هَلْ قَضَتْ أرْبابُه وَطَرًا * دُونَ المَقادِيرِ أو فازَتْ بمَقْصُودِ (٧)

---

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والغضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودى فى حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر .

(٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودى التى عارض بها قصيدة البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وسماها : (كشف الغمة فى مدح خير الأمة) وأولها :

يا سارى البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق .

(٥) يشير إلى ما نكب به البارودى فى حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد «بالزلة» اشتراك الفقيد فى الثورة العرابية .

(٧) الحجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

كنتَ الوَزيرَ وكنتَ المُسْتَعانَ به * وكان هَمُّكَ هَمَّ القادَةِ الصِّيدِ (١)

كم وَقْفَةٍ لكَ والأَبْطالُ طائِرَةٌ * والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيداً بِصِنْدِيدِ (٢)

تَقُولُ للنفْسِ إنْ جاشَتْ اليكَ بها * هٰذا مَجالُكِ سُودِى فيه أو بِيدِى (٣)

نَسَخْتَ (يومَ كَرِيدٍ) كلَّ ما نَقَلُوا * فى يومِ (ذِى قارَ) عن (هانِئِ بنِ مَسْعُودِ) (٤)

نَظَمْتَ أَعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به * على رَوِىٍّ ولٰكِنْ غيرُ مَعْهُودِ (٥)

كأنَّهُمْ كَلِمٌ والمَوْتُ قافِيَةٌ * يَرْمِى بِهِ عَرَبِىٌّ غيرُ رِعْدِيدِ (٦)

أَوْدَى (المَعَرِّى) تَقِىُّ الشِّعْرِ مُؤْمِنُه * فكادَ صَرْحُ المَعالِى بَعْدَه يُودِى (٧)

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفزع . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب . وباد يبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتقض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس يا ورحب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الموقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعه ؛ وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل .

(٦) الرعديد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع أبيات القصيدة .

(٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يتهدم وينقض .

وأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ أَدَبٍ * وأَقْفَرَ الرَّوْضُ مِنْ شَدْوٍ وتَغْرِيدِ

وأَصْبَحَ الشِّعْرُ والأَسْماعُ تَنْبِذُه (١) * كأَنَّه دَسَمٌ فى جَوْفِ مَعْقُودِ

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ واسْتَرْخَتْ أَعِنَّتُه (٢) * فراحَ يَعْثُرُ فى حَشْوٍ وتَعْقِيدِ

وأَنْكَرَتْ نَسَماتُ الشَّوْقِ مَرْبَعَه (٣) * تُثِيرُها خَطَراتُ الخُرَّدِ الخُودِ

لو أَنْصَفُوا أَوْدَعوه جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ (٤) * مِنْ كَنْزِ حِكْمَتِه لا جَوْفَ أُخْدُودِ

وكَفَّنُوه بِدَرْجٍ مِنْ صَحائِفِه (٥) * أو واضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ

وأَنْزَلُوه بأُفْقٍ مِنْ مَطالِعِه (٦) * فوقَ الكَواكِبِ لا تَحتَ الجَلامِيدِ

وناشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحاسِنَه (٧) * لِلشَّرْقِ والغَرْبِ والأَمْصارِ والبِيدِ

أَقُولُ لِلمَلإِ الغادِى بِمَوْكِبِه (٨) * والنَّاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْؤُودِ

غُضُّوا العُيونَ فإنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ (٩) * مَعَ المَلائِكِ تَكْرِيمًا (لمحمود)

---

(١) المعود : الذى اعتلت معدته فلا يستمرئ ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير اللجام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة ألفاظه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .

(٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة ، وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .

(٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدرج (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور ، الواحد جلمود .

(٧) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . (٨) الملأ : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمفؤود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

(١)
يا وَيْحَ للقَـبْرِ قـد أَخْفَى سَنَا قَمَـرٍ * مُقَسَّمِ الوَجْـهِ مَحْسُـودِ التَّجَالِيـدِ
(٢)
يا وَيْحَهُ حَلَّ فيـه ذُو قَرِيحَتِـه * لَهَا بِخِـدْرِ المَعَـالِي أَلْفُ مَـوْلُود
(٣)
فـرائِدٌ خُرَّدٌ لـو شاءَ أَوْدَعَهـا * مُحْصِى الحَـدِيدِ سِجِـلَّاتِ المَوَالِيـد
(٤)
كأَنَّهـا وهْىَ بالألفـاظِ كاسِـيَةٌ * وحُسْـنُهـا بينَ مَشْهُودٍ ومَحْسُـود
(٥)
لَآلِئٌ خَلْفَ بَـلُّورٍ قـد آنسـقَتْ * فى بَيْتِ دُهْقَانَ تَسْتَهْوِى نُهَى الغِيد
(٦)
(مَحْمُـودُ) إنِّى لَأَسْـتَحْيِيكَ فى كَلِمِى * حَيًّا ومَيْتًا وإنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِى
(٧)
فاعذِرْ قَرِيضِىَ واعْذِرْ فيـكَ قائِلَه * كِلاهُمـا بَيْنَ مَضْـعُوفٍ ومَحْـدُود

---

(١) سنا القمر : ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذو (هنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طيئ . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللآلئ التى لم تثقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد فى نفاستها وصيانتها عن الابتذال . ومحصى الحديد : من يقيد المعانى الجديدة التى يبتكرها الشعراء . ويريد بقوله : «لو شاء» الخ : أن له معانى مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية متجملة كما يتجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : التاجر ؛ فارسى معرّب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيد باللآلئ ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشف عما تضمنت من المعانى كما يشف البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالتضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والممنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجادة فى رثاء الفقيد .

obeikandl.com

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[نشرت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلامٌ على أيّامِهِ النَّضِراتِ (٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا * على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَنات

لقد كنتُ أَخْشَى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَه * فأَصْبَحْتُ أَخْشَى أنْ تَطُولَ حَياتِي

فوالهَفِي — والقَبْرُ بَيْنِي وبَيْنَه — * على نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَرات (٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأسِ خاشِعًا * كأنِّي حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفات (٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فأَوْدَعُوا * تَجالِيدَه فى مُوحِشٍ بفَلاة (٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأَنْزَلُوا * بِخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفات (٦)

تَبارَكْتَ هٰذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ * أَيُتْرَكُ فِي الدُّنيا بغَيْرِ حُماة ؟

تَبارَكْتَ هٰذا عالِمُ الشَّرقِ قد قَضَى * ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزات (٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والهفى : كلمة يحسر بها على مافات .

(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح لليت : حفرله ضريحا . ويريد «بالمسجدين» : المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : مايبلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك ، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد «بالغمزات» : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

obeikandl.com

زَرَعْتَ لنا زَرْعًا فأَخْرَجَ شَطْأَهُ * وبِئْتَ ولمّا نَجْتَنِ الثَّمَراتِ (١)

فـواهًا له أَلّا يُصيبَ مُوَفَّقًا * يُشَارِفُهُ والأَرضُ غيرُ مَواتِ (٢)

مَدَدْنا إلى الأَعْلامِ بَعْدَكَ راحَنا * فرُدَّتْ إلى أَعْطافِنا صَفِراتِ (٣)

وجالَت بنا تَبْغِي سِواكَ عُيونُنا * فعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ (٤)

وآذَوْكَ فى ذاتِ الإلهِ وأَنْكَرُوا * مَكانَكَ حتّى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ (٥)

رأَيتَ الأَذَى فى جانِبِ اللهِ لَذَّةً * ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بشَكاةِ

لقد كنتَ فيهِمْ كَوكَبًا فى غَياهِبٍ * ومَعْرِفَةً فى أَنْفُسٍ نَكِراتِ (٦)

أَبَنْتَ لنا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً * وفَرَّقْتَ بين النُّورِ والظُّلُماتِ (٧)

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِلْمِ وانْجَلَى * فأَطْلَعْتَ نُورًا مِن ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لِهانُوتُو) و(رِينانَ) وَقْفَةً * أَمَدَّكَ فيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ (٨)

---

(١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبئت : بعدت . (٢) الضمير فى «له» يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجدبة التى لا تنبت . يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها . (٣) يريد «بالأعلام» : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . والأعطاف : الجوانب . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد اليه ، وينشرونها فى بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) الغياهب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت الى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسى ، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

وخِفْتَ مَقامَ اللهِ فى كلِّ مَوْقِفٍ * نخافكَ أَهْلُ الشَّكِّ والنَّزَغاتِ (١)

وكَمْ لكَ فى إغْفاءَةِ الفَجْرِ يَقْظَةٍ * نَفَضْتَ عليها لَذَّةَ الهَجَعاتِ (٢)

ووَلَّيْتَ شَطْرَ البَيْتِ وَجْهَكَ خالِيا * تُناجِى إلهَ البَيْتِ فى الخَلَواتِ (٣)

وكَمْ لَيْلَةٍ عانَدْتَ فى جَوْفِها الكَرَى * ونَبَّهْتَ فيها صادِقَ العَزَماتِ (٤)

وأَرْصَدْتَ للباغِى على دِينِ أَحْمَدٍ * شَباةَ يَراعٍ ساحِرِ النَّفَثاتِ (٥)

إذا مَسَّ خَدَّ الطِّرْسِ فاضَ جَبِينُه * بأَسْطارِ نُورٍ باهِرِ اللَّمَعاتِ (٦)

كأنَّ قَرارَ الكَهْرَباءِ بشِقِّه * يُرِيكَ سَناهُ أَيْسَرُ اللَّمَساتِ (٧)

فيا سَنَةً مَرَّتْ بأَعْوادِ نَعشِه * لَأَنْتِ علينا أَشْأَمُ السَّنَواتِ

حَطَمْتِ لنا سَيْفًا، وعَطَّلْتِ مِنْبَرًا * وأَذْوَيْتِ رَوْضًا ناضِرَ الزَّهَراتِ (٨)

وأَطْفَأْتِ نِبْراسًا وأَشْعَلْتِ أَنْفُسًا * على جَمَراتِ الحُزْنِ مُنْطَوِياتِ (٩)

---

(١) النزغات : الوساوس .

(٢) الإغفاءة : النومة . « ونفضت عليها » الخ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرصدت : أعددت وهيأت . واليراع : القلم . وشباته : سنه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، فمجرد اللمس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النبراس : المصباح .

رأى فى لَيَـالِيكَ المُنَجِّـمُ مَا رَأَى (١) * فَأَنْـذَرَنَا بالـــوَيْلِ والعَـثَرَاتِ

ونَبَّـأَهُ عِـلْمُ النُّجُـومِ بحَـادِثٍ * تَبِيتُ لَـه الأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ

رَمَى السَّرَطانُ اللَّيْثَ واللَّيْثُ خَادِرٌ (٢) * ورُبَّ ضَعِيفٍ نَافِـذ الرَّمَيَـاتِ

فَأَوْدَى به خَتْلًا فمَـالَ إلى الثَّرَى (٣) * ومالَتْ له الأَجْرَامُ مُنْحَـدِرَاتِ

وشاعَتْ تَعَازِى الشُّهْبِ باللَّمْحِ بَيْنَهَا * عن النَّيِّرِ الهَـاوِى إلى الفَـلَوَاتِ

مَشَى نَعْشُـه يَخْتَـالُ عُجْبًـا بِرَبِّهِ (٤) * ويَخْطِـرُ بين الشَّمْسِ والقُبُـلَاتِ

تَكَادُ الدُّموعُ الجَـارِياتُ تُقِـلُّه (٥) * وتَدْفَعُـه الأَنْفَـاسُ مُسْـتَعِرَاتِ

بَكَى الشَّرْقُ فارْتَجَّتْ له الأَرْضُ رَجَّةً * وضَاقَتْ عُيونُ الكَوْنِ بالعَبَرَاتِ

ففِى الهِنْدِ مَحْزُونٌ وفى الصِّينِ جَازِعٌ * وفى (مِصْرَ) بَاكٍ دائمُ الحَسَرَاتِ

وفى الشَّأْمِ مَفْجُوعٌ، وفى القُرْسِ نَادِبٌ * وفى تُونُسٍ ما شِئْتَ مِنْ زَفَرَاتِ

بَكَى عالَمُ الإسـلامِ عالِمَ عَصْـرِه (٦) * سِرَاجَ الدَّيَاجِى هَـادِمَ الشُّـبُهَاتِ

---

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قـد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها ، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى .

(٢) رمى السرطان ... الخ ، اشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هـذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى والأسـد فى أجمته . ويطلق السرطان أيضا على برج فى السماء يقابله برج الأسـد الذى أطلق الشاعر عليـه لفظ الليث ، واستعمل الشطر الأول فى المعنيين ، كما يدل عليـه سياق الكلام فى الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . والختل : الخداع . والأجرام : الأفلاك .

(٤) ربه : صاحبه .

(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الدياجى : الظلمات .

مَـلاذَ عَيـايِلٍ ثِمـالَ أَرامِـلٍ * غِيـاثَ ذَوِى عُدْمٍ إمامَ هُـداةِ (١)

فلا تَنْصِبُوا للناس تِمثـالَ (عَبْده) * وإنْ كانَ ذِكْرَى حِكْمَةٍ وثَبـاتِ

فإنِّى لَأَخْشَى أنْ يَضِـلُّوا فيُومِئُوا * الى نُورِ هٰـذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ (٢)

فيـاوَيْحَ للشُّورَى اذا جَدَّ جِدُّها * وطاشَتْ بهـا الآراءُ مُشْتَجِراتِ (٣)

ويا وَيْحَ لِلفُتْيَا اذا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * ويا وَيْحَ للخَيْرَاتِ والصَّـدَقاتِ

بَكَيْنَا على فَـرْدٍ وإنّ بُكاءَنَا * عـلى أنفُـسٍ لِلّهِ مُنْقَطِعـاتِ

تَعَهَّـدَها فَضْـلُ الإمامِ وَحاطَها * بإحْسـانِهِ والدَّهرُ غيرُ مُـواتِى (٤)

فيا مَنْزِلًا فى (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنِى * وأَرْغَمَ حُسَّـادِى وغَمَّ عُـداتِى (٥)

دَعائِمُـه التَّقْوَى وآساسُه الهُـدَى * وفيـه الأَيادِى مَوْضِـعُ اللَّبِنـاتِ (٦)

عليكَ سَـلامُ اللهِ، مالَكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ المَغـانِى مُقْفِرَ العَرَصاتِ (٧)

---

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمال الأرامل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : الغيث والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يومئوا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتى : الموافق المساعد . (٥) عين شمس : ناحية من ضواحى القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عمده . والأيادى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ، الواحدة لبنة .

(٧) الموحش : الخالى الذى ليس به ساكن . ومغانيه : منازله التى كان ينزل بها ساكنوه ، الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

obeikandi.com

لقد كنتَ مَقْصودَ الجَوانبِ آهِلاً * تَطُوف بِكَ الآمالُ مُبْتَهِـــلاتِ (١)
مَثابةَ أَرْزاقٍ ، ومَهْبِـطَ حِكْمَةٍ * ومَطْلَعَ أَنْوارٍ ، وكَنْزَ عِظاتِ (٢)

رثاء مصطفى كامل باشا (٣)

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

أَيا قَبْرُ هَـــذا الضَّـــيْفُ آمالُ أُمَّةٍ * فَكَبِّرْ وهَلِّلْ وٱلْقَ ضَيْفَكَ جاثِيَـا (٤)
عَزِيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ العُـــلَا فى زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا (٥)
أيا قَـــبْرُ لو أنّا فَقَـــدْناهُ وَحْدَه * لَكانَ التأَسِّى مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا (٦)
ولكنْ فَقَـــدْنا كلَّ شَيْءٍ بِفَقْـــدِه * وهَيْهَـــاتَ أَنْ يَأْتِى به الدَّهْرُ ثانِيـا
فيـا سائِلِى أَيْنَ ٱلْمُـــرُوءةُ وٱلوَفا * وأينَ الحِجَـا والرَّأْىُ ؟ وَيْحَكَ هاهِيـا
هَنِيئا لهـــمْ فلْيَأْمَنُوا كلَّ صائِحٍ * فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كان عَالِيا (٧)

---

(١) منزل آهل : عامر بأهـــله . ومبتهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت فى طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد ، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر ، إلى أن توفى فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى .

(٤) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع .

(٥) الذاوى : الذابل .

(٦) التأسى : اقتداؤك بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

ومات الّذى أَحْيا الشُّعُورَ وساقه * الى المَجْدِ فاستَحْيَا النُّفوسَ البَوالِيا (١)

مَدَحْتُكَ لمّا كُنْتَ حَيًّا فلَمْ أُجِدْ * وإنّى أُجيدُ اليومَ فيكَ المَراثِيا

عليكَ، وإلّا ما لِذا الحُزْنِ شامِلًا * وفيكَ، وإلّا ما لِذا الشَّعْبِ باكِيا (٢)

يَمُوتُ المُداوِى للنُّفُوسِ ولا يَرَى * لِما فيه مِنْ داءِ النُّفُوسِ مُداوِيا

وكُنّا نِيامًا حيثما كنتَ ساهِدًا * فأَسْهَدْتَنا حُزْنًا وأَمْسَيْتَ غافِيا (٣)

شَهِيدَ العُلَا، لا زالَ صَوْتُكَ بَيْنَنا * يَرِنُّ كما قَدْ كانَ بالأَمْسِ داوِيا (٤)

يُهِيبُ بنا : هَذا بناءُ أَقَمْتُه * فلا تَهْدِمُوا باللهِ ما كُنْتُ بانِيا (٥)

يَصِيحُ بِنا : لا تُشْعِرُوا الناسَ أنّنى * قَضَيْتُ وأنّ الحَيَّ قد باتَ خالِيا (٦)

يُناشِدُنا باللهِ أَلّا تَفَرَّقُوا * وكُونوا رِجالًا لا تَسُرُّوا الأَعادِيا

فرُوحِى مِنْ هَذا المَقامِ مُطِلَّةٌ * تُشارِفُكُمْ عَنِّى وإنْ كنتُ بالِيا (٧)

فَلَا تَحْزُنُوها بالخِلافِ فإنّنى * أَخافُ عليكُمْ فى الخِلافِ الدَّواهِيا

أَجَلْ، أيُّها الداعِى الى الخَيْرِ إنّنا * على العَهْدِ ما دُمْنا فنَمْ أنتَ هانِيا (٨)

بَناؤُكَ مَحْفُوظٌ، وطَيْفُكَ ماثِلٌ * وصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وإنْ كنتَ نائِيا

---

(١) استحيا، أى أحيا . والاستحياء (لغة) : الاستبقاء، يقال : استحيا فلان فلانا، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك، أى عليك الحزن . وفيك، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والغافى : النائم .

(٤) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه : مدوّ . وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه .

(٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو .

(٨) أجل، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

obeikandl.com

عهدناكَ لا تَبْكى وتُنْكِرُ أَنْ يُرَى * أَخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ باكِيا

فَرَخِّصْ لنا اليومَ البُكاءَ وفى غَدٍ (١) * تَرانا كما تَهْوَى جِبالًا رَواسِيا

فيا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفاتِه * دَمًا أَحْمَرًا لا كنتَ يا نِيلُ جارِيا

ويا (مِصْرُ) إِنْ لم تَحْفَظِى ذِكرَ عَهْدِه * إلى الحَشْرِ لا زالَ انْحِلالُكِ باقِيا

ويا أَهْلَ (مِصْرٍ) إِنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ * ثِقُوا أَنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاوِيا

ثلاثُون عاما بل ثلاثُون دُرَّةً (٢) * بجِيدِ اللَّيالِى ساطِعاتٍ زَواهِيا

سَتَشْهَدُ فى التاريخ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ (٣) * فَتًى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازِيا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها فى حفل الأربعين فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوادِىَ (٤) الأَزْهارِ * وأَتَيْتُ أَنْثُرُ بينهم أَشْعارِى

زَيْنَ الشَّبابِ وزَيْنَ طُلّابِ العُلا * هل أنتَ بالمُهَجِ الحزِينَةِ دارِى؟

غادَرْتَنا والحادِثاتُ بمَرْصَدٍ (٥) * والعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وإِسارِ

---

(١) الذى وجدناه أنه يقال : «رخصت له» ورخصته فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه . ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال : رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت ، إلا أن يقال : إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير ، فحذف الفاء . والرواسى : الرواسخ .

(٢) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى .

(٣) تشهد ، أى الثلاثون عاما .

(٤) نوادى الأزهار : الرطبة المبللة بالندى .

(٥) بمرصد ، أى أن الحوادث ترقبنا وتتحين الفرص لمداهمتنا . والمرصد ، هو مكان الرصد ، أى المراقبة .

obeikandl.com

ما كانَ أَحْوَجَنا إليــكَ اذا عَدَا (١) * عادٍ وصـاحَ الصّائحُـون : بَدَارِ

أَيْنَ الخَطِيبُ وأَيْنَ خَلّابُ النُّهَى؟ * طالَ انْتِظارُ السَّــمْعِ والأَبْصارِ

باللهِ ما لَكَ لا تُجِيبُ مُنـادِيًا * ما ذا أَصـابَكَ يا أَبَا المِغْــوارِ (٢)

قُمْ وامْحُ ماخَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومَرٍ) * جَهْــلًا بِدِينِ الواحِدِ القَهّـارِ (٣)

قد كُنْتَ تَغْضَبُ للكِنانَةِ كُلَّمـا * هَمَّتْ وَهَــمَّ رَجاؤها بِعِثـارِ (٤)

غَضَبَ التَّــقِيِّ لِرَبِّــه وكِتابِه * أو غَضْــبَةَ (الفارُوقِ للمُخْتارِ) (٥)

قد ضاقَ جِسْمُكَ عنْ مَداكَ فلَمْ يُطِقْ * صَــبْرًا عليــكَ وأنتَ شُــعْلَةُ نارِ (٦)

أَوْدَى به ذاكَ الجِهـادُ وهَــدَّه * عَزْمٌ يَهُــدُّ جَلائِلَ الأَخْطـارِ (٧)

لَعِبَتْ يَمِينُكَ بالـيَراعِ فأَعْجَــزَتْ * لَعِبَ الفَــوارِسِ بالقَنـا الخَطّارِ (٨)

وجَرَيْتَ للعَلْيـاءِ تَبْــغِي شَأْوَها * فَجَــرى القَضاءُ وأنتَ فى المِضْمارِ (٩)

---

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء . ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية فى مصر من طعن على الدين الإسلامى . (٤) العثار : الكبو والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والمختار : النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المعالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهده عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح . والخطار : من صفات الرمح، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشأو : الغاية . ويريد « بالقضاء » : الموت .

أَوَكلَّما هَـــزَّ الرَّجاءُ مُهَنَّـــدًا (١) * بَدَرَتْ إليـــه غَوائِلُ الأَقْـــدارِ

عَزَّ القَـــرارُ عَلَىَّ ليـــلةَ نَعْيِـــه (٢) * وشَهِدْتُ مَوْكِبَه فقَـــرَّ قَـــرارِى

وتَسابَقَتْ فيـــه النُّعـاةُ فطائِرٌ (٣) * بالكَهْـــرَباءِ ، وطـائِرٌ بِبُخـار

شاهَدْتُ يومَ الحَشْرِ يـــومَ وَفاتِه (٤) * وعَلِمْتُ منـه مَراتِبَ الأَقْـــدار

ورأيتُ كيفَ تَفِى الشُّعوبُ رِجالَها * حَـــقَّ الـولاءِ وواجِبَ الإِكْبار

تِسْـعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعْشِكَ خُشَّع (٥) * يَمْشُـون تَحْتَ (لِوائِكَ) السَّـيَّار

خَطُّوا بأَدْمُعِهِمْ على وَجْـهِ الثَّرَى * للحُـزْنِ أَسْـطارًا عـلى أَسْـطار

آنًا يُوالُون الضَجِيجَ كأَنَّهـمْ * رَكْـبُ الحَجِيجِ بكَعْبَةِ الزُّوّارِ

وتَخالُهُمْ آنًا لفَـرْطِ خُشُـوعِهِمْ * عنـد المُصَـلَّى يُنْصِتُونَ لِقَـارِى

غَلَبَ الخُشُـوعُ عليهمُ فدُموعُهُمْ (٦) * تَجْـرِى بلا كَلَحٍ ولا آسـتِئْثار

قد كنتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وزَفِيرِهِمْ * ما بينَ سَـيْلٍ دافِـقٍ وشَرار

أَسْـعَى فيأْخُـذُنِى اللَّهِيبُ فأَنْثَنِى * فيَصُـدُّنِى مُتَـدَفِّقُ التَّيَّـار

---

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : «وشهدت» الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد «بالطائر بالكهرباء» : الرسائل البرقية . «وبالطائر بالبخار» : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستئثار من الأنف معروف . ويريد «بتجرى بلا كلح ولا آستئثار» : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

لَوْ لَمْ أَلُذْ بالنَّعْشِ أو بِظِلالِهِ (١) * لَقَضَيْتُ بين مَراجِلٍ وبِحار

كم ذاتِ خِدْرٍ يومَ طافَ بكَ الرَّدَى * هَتَكَتْ عليكَ حَرائرَ الأَسْتار

سَفَرَتْ تُوَدِّعُ أُمَّةً مَحْمُولَةً * فى النَّعْشِ لا خَبَراً مِن الأخبار

أَمِنَتْ عُيونَ النّاظِرين فَمَزَّقَتْ (٢) * وَجْهَ الخِمارِ فَلَمْ تَلُذْ بخِمار

قد قام ما بَيْنَ العُيونِ وبَيْنَها * سِتْرٌ مِن الأَحْزانِ والأَكْدار

أُدْرِجْتَ فى العَلَمِ الّذى أَصْفَيْتَه (٣) * مِنكَ الوِدادَ فكانَ خيرَ شِعار

عَلَمانِ مِنْ فَوْقِ الرءوسِ كِلاهُما * فى طَيِّهِ سِرٌّ مِن الأَسْرار (٤)

ناداهُما داعِى الفِراقِ فأَمْسَيا * يَتعانَقانِ على شَفِيرٍ هارِى (٥)

تاللهِ ما جَزِعَ المُحِبُّ ولا بَكَى * لِنَوًى مُرَوِّعَةٍ وبُعْدٍ مَزار (٦)

جَزَعَ (الهِلالِ) عليكَ يومَ تَرَكْتَه * ما بَيْنَ حَرِّ أَسًى وحَرِّ أُوار (٧)

مُتَلَفِّتًا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُناضِلُ عنه يومَ نِضارِ

---

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القدور ، الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «بالمراجل والبحار» : ما أشار اليه فى البيت الأسبق من الزفرات والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها . (٣) يقال : أدرجه فى الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد «بالعلم» : علم مصر . (٤) يريد «بالعلمين» : الفقيد ، تشبيها له بالعلم فى ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذى لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شىء : حرفه . والهارى : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التى كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظمأ ، ويريد به ما تركه فراقه فى النفوس من تعطش إليه .

إنّ الثلاثينَ (١) الّتى بك فاخَرَتْ * بأتَتْ تُقاسُ بأَطْوَلِ الأَعْمارِ

ضَمَّتْ الى التاريخ بِضْعَ صَحائِفٍ * بَيْضاءَ مِثْلَ صَحائِفِ الأَبْرارِ

شَبَّهْتُهُنَّ (٢) بُنْقطَةٍ عِطْرِيّةٍ * وَسِعَتْ مُحَصَّلَ رَوْضَةٍ مِعْطارِ

خَلَّفْتَها كالمِشْقِ يَحْذُو حَذْوَها * راجى الوُصولِ ومُقْتَفِى الآثارِ

ماذا على السّارِى ـ وهُنَّ مَنائِرٌ (٣) ـ * لو سارَ بَيْنَ مَجاهِلٍ وقِفارِ

ما زِلْتَ تَخْتارُ المَواقِفَ وَعْرَةً (٤) * حتّى وَقَفْتَ لذلِكَ الجَبّارِ

وهَدَمْتَ سُورًا قد أَجادَ بِناءَه (٥) * فِرْعَوْنُ ذو الأَوْتادِ والأَنْهارِ

ووَصَلْتَ بين شَكاتِنا ومَشايِخٍ (٦) * فى (البَرْلَمانِ) أَعِزَّةٍ أَخْيارِ

كَشَفُوا الغِطاءَ عن العُيونِ (٧) فأَبْصَرُوا * ما فى الكِنانَةِ مِنْ أَذًى وضِرارِ

نَبَذُوا كَلامَ (اللُّرْدِ) حينَ تَبَيَّنُوا (٨) * حَنَقَ المَغيظِ ولَهْجَةَ الثَّرْثارِ

ورَماهُمُ بِمُجَلَّدَيْنِ رَمَوْهُما (٩) * فى رُتْبَةِ الأَصْفارِ لا الأَسْفارِ

---

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدّمنا أن الفقيد قد توفى عن اثنتين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبى .

(٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : مايحصل من رياحينها وأزهارها .

(٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة .

(٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .

(٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به .

(٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى .

(٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان .

(٨) الحنق : الغيظ . والثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق .

(٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

واهًا على تلك المواقف إنها * كانت مواقف ليث غاب ضارى (١)
لم يلوه عنها الوعيد ولا ثنى * من عزمه قول المريب : حذار (٢)
فاهنأ بمنزلك الجديد ونم به * فى غبطة وانعم بخير جوار
وآستقبل الأجر الكبير جزاء ما * ضحيت للأوطان من أوطار (٣)
نعم الجزاء ونعم ما بلغته * فى منزليك ونعم عقبى الدار (٤)

رثاء قاسم أمين بك (٥)

[نشرت فى ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

لله درك كنت من رجل * لو أمهلتك غوائل الأجل (٦)
خلق كأنفاس الرياض إذا * أسحرن غب العارض الهطل (٧)

---

(١) الضارى : الجرىء المعوّد على الصيد .
(٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة . يريد به هنا : المتهم فى وطنيته ، المشكوك فى إخلاصه لبلاده .
(٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والحاجة .
(٤) فى منزليك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج فى المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية ؛ وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله فى ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . واشترك أيضا فى الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ؛ وتوفى رحمه الله فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهى المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسحر : صار فى السحر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهطل : المتتابع المطر ، العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفى السحر .

obeikandl.com

وشَمائـــلٌ لـــو أنّهـا مُزِجَتْ * بطَبـائِـــعِ الأيّـــامِ لَم تَحُـــلِ (١)

جَـــمُّ المَحامِـــدِ غيرُ مُتَّهَـــمٍ * جَـــمُّ التَّواضُـعِ غيرُ مُبْتَـــذَلِ (٢)

يا دَوْلَةَ الأَخْـــلاقِ رافِـــلَةً * مِنْ (قاسِمٍ) فى أَبْهَجِ الحُلَلِ (٣)

كيف انطَوَيْتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصارِعُ الدُّوَلِ؟

يا طالِعًـا للشَّـــرْقِ لَجَّ بـــه * نَحْسُ النُّحُوسِ فقَـرَّ فى (زُحَلِ) (٤)

هَـــلَّا وَصَلْتَ سُـــراكَ مُنْتَقِلًا * عَلَّ السُّعُودَ تكونُ فى النُّقَلِ

مالى أَرَى الأَجْـــداثَ حالِيـــةً * وأَرَى رُبُوعَ النِّيـــلِ فى عَطَـلِ (٥)

فاذا الكِنانةُ أَطْلَعَتْ رَجُـــلًا * طـاحَ القَضاءُ بذٰلك الرَّجُـــلِ (٦)

أوَ كلَّما أَرْسَلْتُ مَرْثِيَـــةً * مِنْ أَدْمُعِى فى إِثْرِ مُرْتَحِـــلِ

هاجَتْ بىَ الأُخْرَى دَفِـينَ أَسًى * فوَصَلْتُ بين مَدامِعِ المُقَـــلِ (٧)

إنْ خانَنِى فـــيما خَضَعْتُ به * شِعْرِى فهٰـذا الدَّمْعُ يَشْـفَعُ لِى

ولقَـــد أقـــولُ وما يُطـالُنِى * عنـــد البَدِيهَةِ قَـــوْلُ مُرْتَجِـــلِ: (٨)

يا مُرْسِـــلَ الأَمْثـالِ يَضْرِبُهـا * قَـــد عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِـــلُ المَثَلِ

---

(١) لم تحل ، أى لم تتحول ولم تتغير . والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس . (٢) المبتذل : المهين .

(٣) رافلة : تجر الذيل متبخترة . (٤) لج به : ألح عليه . وزحل : كوكب معروف من الخنس ، وهو عند المنجمين كوكب نحس . (٥) الأجداث : القبور ؛ الواحد جدث (بالتحريك) . وحالية : مزدانة . والعطل : التجرد عن الزينة . (٦) طاح به : ذهب به .

(٧) «هاجت بى الأخرى» الخ ، أى أثارت المرثية الأخرى ما خفى من حزنى . (٨) طاوله : غالبه .

(١)
يا رائشَ الآراءِ صائبَةً * يَرْمِي بِهِنَّ مَقاتِلَ الخَطَلِ
(٢)
لِلّهِ آراءٌ شَأَوْتَ بِها * فى الخالِدِينَ نَوابِغَ الأُوَلِ
(٣)
قد كنتَ أَشْقانَا بِنا وكذا * يَشْقَى الأَبِيُّ بِصُحْبَةِ الوَكَلِ
(٤)
لَهْفِى عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً * لَمْ تَشْكُ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلِ
(٥)
غَلَّ القَضاءُ يَدَ القَضاءِ فَذا * يَبْكِى عليكَ وذاكَ فى جَذَلِ
شَغَلَتْكَ عن دُنْياكَ أَرْبَعَةٌ * والمرءُ مِنْ دُنْياهُ فى شُغُلِ :
(٦)
حَقٌّ تُناصِرُهُ ومَفْخَرَةٌ * تَمْشِى إليها غَيْرَ مُنْتَحِلِ
(٧)
وحَقائِقُ للعِلْمِ تَنْشُدُها * ما لِلحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قِبَلِ
(٨)
وفَضِيلَةٌ أَعْيَتْ سِواكَ فَلَمْ * تَمْدُدْ إليه يداً ولم يَصِلِ
(٩)
إنْ رَيْتَ رَأْياً فى الحِجابِ ولَمْ * تُعْصَمْ ، فتِلْكَ مَراتِبُ الرُّسُلِ

---

(١) الرائش : الذى يلزق الريش على السهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) : الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى يكل أمره الى غيره . ويشير بهذا البيت الى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أى مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .

(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرح . (٦) المنتحل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة الى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، بحذف الهمزة للوزن . ويشير بهذا البيت الى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

obeikandi.com

الحُكْمُ للأيّام مَرْجِعُـه * فِـيما رأَيْتَ فـنَمْ ولا تَسَـلِ

وكذا طُهاةُ الرأى تَتْرُكُه (١) * للدَّهْرِ يُنْضِـجُه عـلى مَهَـلِ

فاذا أَصَبْتَ فأنتَ خـيرُ فَـتًى * وَضَـعَ الدَّواءَ مَواضِـعَ العِـلَلِ

أَوْلَا ، فحَسْبُكَ ما شَرُفْتَ بـه * وتَرَكْتَ فى دُنْيـاكَ مِنْ عَمَلِ

واهًا عـلى دارٍ مَرَرْتُ بها (٢) * قَفْـرًا وكانت مُلْتَـقَى السُّبُلِ

أَرْخَصْتُ فيها كلَّ غالِيَـةٍ (٣) * وذَكَرْتُ فيها وَقْفَةَ الطَّلَلِ

ساءَلْتُها عن (قاسِـمٍ) فأَبَتْ (٤) * رَدَّ الجَـوابِ فرُحْتُ فى خَبَلِ

مُتَعَـثِّرًا يَنْتابُنِى وَهَنٌ (٥) * مُتَرَنِّحًا كالشـارِبِ الثَّمِـلِ

مُتَذَكِّرا يـومَ (الإمامِ) بـه (٦) * يـومَ ٱنْتُـوِيتُ بذَلِكَ البَطَـلِ

يومَ ٱحْتَسَبْتُ ـ وكنتُ ذا أَمَلٍ ـ (٧) * تحتَ الـترابِ بقيّـةَ الأَمَـلِ

جاوِرْ أَحِبَّتَـكَ الأُلَى ذَهَبـوا * بالعَـزْمِ والإقْـدامِ والعَمَـلِ

وٱذكُرْ لهـم حاجَ البِـلادِ إلى (٨) * تـلكَ النُّهَى فى الحـادِثِ الجَلَلِ

---

(١) شبه فى هـذا البيت صاحب الرأى يرسله فى النـاس ويَرَكه ينفذ الى عقولهم شـيئا فشيئا حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النـار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، ويصـير صالحا لتناوله .

(٢) يريد «بالدار» دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب «قفرا» على الحال . (٣) الغالية ، أى الدمعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشدّ المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار . (٤) الخبل : الجنون . (٥) الوهن : الضعف . والمترنح . المتمايل سكرا . والثمل : النشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتويت به ، أى يوم رمانى فيه الزمان وقصدنى بمكروهه . (٧) احتسبه : قدّمه واعتدّه فيما يدخر عند الله .

(٨) الحاج : جمع حاجة .

قُلْ (للإمامِ) إذا ٱلْتَقَيْتَ بِهِ * فى الجَنَّتَيْنِ بأكْرَمِ النُّزُلِ:

إنّ الحَقيقةَ أصْبَحَتْ هَدَفًا * للرَّاكِبينَ مَراكِبَ الزَّلَلِ

لِلّهِ آثارٌ لكم خَلَدَتْ * صاحَ الزّوالُ بها فلَمْ تَزُلِ

لِلّهِ أيّامٌ لكم دَرَجَتْ * طالَتْ عَوارِفُها (١) ولَمْ تَطُلِ

نِعْمَ الظِّلالُ لو أنّها بَقِيَتْ * أو أنّ ظِلًّا غيرُ مُنْتَقِلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم عند قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بأرْكانِ هٰذا القَبْرِ وٱستَلِمُوا (٢) * وٱقْضُوا هُنالِكَ ما تَقْضِى بهِ الذِّمَمُ

هُنا جَنانٌ تَعالَى اللهُ بارِئُهُ * ضاقَتْ بآمالِهِ الأقْدارُ والهِمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ لاحَ بَيْنَهُما * فى الشَّرْقِ فَجْرٌ تُحَيِّى ضَوْءَهُ الأمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ طالَما نَثَرا * نَثْرًا تَسيرُ بهِ الأمْثالُ والحِكَمُ

هنا الكَمِىُّ الّذى شادَتْ عَزائِمُهُ * لطالِبِ الحَقِّ رُكْنًا ليسَ يَنْهَدِمُ (٣)

هُنا الشَّهيدُ، هُنا رَبُّ اللِّواءِ، هُنا * حامِى الذِّمارِ، هُنا الشَّهْمُ الَّذى عَلِمُوا (٤)

---

(١) درجت : مضت وذهبت . والعوارف : جمع عارفة ، وهى العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة .

(٢) استلم القبر : قبله أو لمسه بيده . (٣) الكمى : الشجاع . (٤) اللواء : الصحيفة التى كان يصدرها الفقيد . والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفاع عنه .

يَأيّها النـائمُ الهـانِى بمَضْـجَعِه * لِيَهْنِـكَ النـوْمُ لاهَمٌّ ولا سَـقَم

باتتْ تُسائِلُنـا فى كـلِّ نازِلَةٍ * عنـكَ المَنابِرُ والقِرْطَاسُ والقَـلَم

تَرَكْتَ فِينـا فَراغًا ليس يَشْـغَلُهُ * إلّا أَبِيٌّ ذَكِىُّ القَـلْب مُضْـطَرِم (١)

مُنَفَّـرُ النَّـوْمِ سَـبّاقٌ لِغايَتِـهِ * آثارُه عَمَّـمٌ آمـالُه أَمَم (٢)

إنّى أَرَى وُفـؤادِى لَيْسَ يَكْذِبُنى * رُوحًا يَحُفُّ بهـا الإكْبارُ والعِظَم

أَرَى جَلالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُحَيًّـا يُحَيِّينـا ويَبْتَسِـم (٣)

اللهُ أكبرُ، هٰـذا الوَجْهُ أَعْرِفُه * هٰـذا فَتَى النِّيلِ هٰذا المُفْرَدُ العَـلَم

غُضُّـوا العُيونَ وحَيُّـوهُ تَحِيَّتَـه * مِنَ القُـلوبِ إذَا لَمْ تُسْعِد الكَلِم (٤)

وأَقْسِمُوا أن تَذُودُوا عَنْ مَبـادِئِه * فَنَحْنُ فى مَوْقِفٍ يَحْـلُو به القَسَم (٥)

لَبَّيْكَ نَحْنُ الأُلَى حَرَّكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لمّـا سَكَنْتَ ولَمّـا غالَكَ العَدَم (٦)

جِئنا نُؤَدِّى حِسابًا عن مَواقِفِنا * ونَسْـتَمِدُّ ونَسْـتَعْدِى ونَحْتَكِم (٧)

قيـلَ اسكُتُوا فسَكَتْنَا ثم أَنْطَقَنا * عَسْفُ الجُفاةِ وأَعْلَى صَوْتَنا الأَلَم (٨)

قـد اتُّهِمْنا ولَمّـا نَطَّلِبْ جَلَلًا * إنّ الضَّعِيفَ على الحالَيْنِ مُتَّهَـم (٩)

---

(١) مضطرم، أى مشتعل غيرة وحمية .
(٢) منفر النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .
(٣) المحيا : الوجه .
(٤) أسعده : أعانه .
(٥) تذودوا : تدفعوا .
(٦) غاله : أهلكه .
(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .
(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين .
(٩) اطلب : طلب . والجلل : الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظَلَمُوا بالحَقِّ أنفُسَهُمْ * واللهُ يَعْلَمُ أنّ الظالمين هُمُ

إذا سَكَتْنا تَناجَوْا، تلك عادَتُهُمْ * وإنْ نَطَقْنا تَنادَوْا : فِتْنَةٌ عَمَمُ (١)

قد مَرَّ عامٌ بِنا والأَمْرُ يَحْزُبُنا * آنًا وآونَةً تَنْتابُنا النِّقَمُ (٢)

فالناسُ فى شِدَّةٍ والدَّهْرُ فى كَلَبٍ * والعَيْشُ قد حارَ فيه الحاذِقُ الفَهِمُ (٣)

وللسِّياسَةِ فِينا كلَّ آوِنَةٍ * لَوْنٌ جَدِيدٌ وعَهْدٌ ليس يُحْتَرَمُ

بَيْنا نَرَى جَمْرَها تُخْشَى مَلامِسُه * إذا بِه عِنْدَ لَمْسِ المُصْطَلِى فَحَمُ (٤)

تُصْغِى لأَهْواتِنا طَوْرًا لتَخْدَعَنا * وتارةً يُزْدِهِيها الكِبْرُ والصَّمَمُ

فِمْ مُلايَنَةٍ أَسْتارُها خُدَعٌ * إلى مُصالَبَةٍ أَسْتارُها وَهَمُ (٥)

ماذا يُرِيدُون؟ لا قَرَّتْ عُيونُهُمُ * إنّ الخِيانَةَ لا يُطْوَى لها عَلَمُ

كم أُمَّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَسَخَتْ * لها — على حَوْلِها — فى أَرْضِها قَدَمُ (٦)

ما كان رَبُّكَ رَبُّ البَيْتِ تارِكَها * وهى التى بِجِبالٍ منه تَعْتَصِمُ (٧)

لَبَّيْكَ إنّا على ما كُنْتَ تَعْهَدُه * حَتّى نَسُودَ وحتّى تَشْهَدَ الأُمَمُ

فيَعْلَمَ النِّيلُ أنّا خيرُ مَنْ وَرَدُوا * ويَسْتَطِيلَ اختيالًا ذلك الهَرَمُ

---

(١) تناجوا : تسارروا .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية ، وحينا فحمة باردة . (٥) الوهم (بسكون الهاء) ، معروف . وحركه الشاعر للضرورة . (٦) رسخت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

obeikandl.com

هـذا الغِراسُ الّذى والَيْتَ مَنْبِتَه * بخَيْرِ ما والَت الأَضْـواءُ والنَّسَمُ (١)

أَمْسَى وأَضْحَى وعَيْنُ اللهِ تَحْرُسُـه * حتّى نَمـا وحَلاهُ المَجْـدُ والشَّمَمُ

فانظُرْ إليه وقد طالَتْ بَواسِـقُه * تَهْنَأْ به ولِأَنْفِ الحاسِـدِ الرَّغَمُ (٢)

يأيُّها النَّشْءُ سِـيرُوا فى طَرِيقَتِه * وثابِرُوا، رَضِىَ الأَعْداءُ أَو نَقِمُوا

فكُلُّكُم (مُصْطَفى) لو سارَ سِيرَتَه * وكُلُّكُمْ (كامِلٌ) لو جازَه السَّأَمُ (٣)

قد كان لا وانِيًا يوماً ولا وَكِلًا * يَسْتَقْبِلُ الخَطْبَ بَسَّامًا ويَقْتَحِمُ (٤)

وأنتَ ياقَبْرُ قـد جِئْنا على ظَمَإٍ * فجُدْ لَنا بجَوابٍ، جادَكَ الدِّيَمُ (٥)

أينَ الشَّبابُ الّذى أَوْدَعْتَ نَضْرَتَه * أينَ الجَلالُ ــ رَعاكَ اللهُ ــ والشِّيَمُ؟ (٦)

وما صَنَعْتَ بآمالٍ لنا طُوِيَتْ * ياقَبْرُ فيكَ وعَفَّى رَسْمَها القِدَمُ؟ (٧)

أَلَا جَوابٌ يُرَوِّى مِنْ جَوانِحِنا * ما لِلقُبُورِ اذا ما نُودِيَتْ تَجِمُ؟ (٨)

نَمْ أنتَ، يَكْفِيكَ ماعانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ * فنحن فى يَقْظَةٍ والشَّمْلُ مُلْتَئِمُ

هـذا (لِواؤُكَ) خَفّاقٌ يُظَلِّلُنا * وذاكَ شَخْصُكَ فى الأَكْبادِ مُرْتَسِمُ

---

(١) واليت منبته، أى لم تنقطع عن تعهده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أول هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمدّ الشمس والنسيم حياة النبات .

(٢) البواسق : ماطال وارتفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابته بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .

(٦) الخلال : الخصال . (٧) الرسم : مابقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره

(٨) ورجم يجم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة الغم .

رثاء تولستوى (١)

[نشرت فى نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

رَثاكَ أَميرُ الشِّعْرِ فى الشَّرْقِ وانْبَرَى * لَمَدْحِكَ مِنْ كُتّابِ مِصْرَ كَبِيرُ (٢)

ولَسْتُ أُبالِى حِينَ أَرْثِيكَ بَعْدَه * إذا قِيلَ عَنِّى قَدْ رَثاهُ صَغِيرُ

فقد كنتَ عَوْنًا للضَّعِيفِ وإنّنى * ضَعِيفٌ ومالِى فى الحَياةِ نَصِيرُ

ولَسْتُ أُبالِى حِينَ أَبْكِيكَ لِلوَرَى * حَوَتْكَ جِنانٌ أَمْ حَواكَ سَعِيرُ (٣)

فإنِّى أُحِبُّ النّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ * وأَعْشَقُ رَوْضَ الفِكْرِ وهوَ نَضِيرُ

دَعَوْتَ الى عِيسَى فَضَجَّتْ كَنائِسٌ * وهُزَّ لها عَرْشٌ ومادَ سَرِيرُ (٤)

وقال أُناسٌ إنّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أُناسٌ إنّه لَبَشِيرُ

---

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ماتغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم فى آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله فى رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلستو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بأس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا .

(٤) ماد : اضطرب .

obeikandl.com

ولَوْلَا حُطامٌ رَدَّ عنكَ كيادَهُـــمْ * لَضِـقْتَ بـه ذَرْعًا وساءَ مَصِـيرُ (١)

ولكنْ حَماكَ العِـلْمُ والرأْىُ والحِجـا * ومالٌ — اذا جَدَّ النِّزالُ — وَفِير

إذا زُرْتَ رَهْنَ المَحْبَسَين بحُفْـرَةٍ * بهـا الزُّهْـدُ ثاوٍ والذَّكاءُ سَـتِير (٢)

وأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فى وَحْشَةِ البِلَى * وشاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ وهو مُنِير (٣)

وأَيْقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلّٰهِ وَحْـدَه * وان قُبُـورَ الزّاهِـدِين قُصُـور

فقِفْ ثمَّ سَلِّمْ واحتَشِمْ إنّ شَـيْخَنا * مَهِيبٌ على رَغْـمِ الفَنـاءِ وَقُـور (٤)

وسائـلْه عمّـا غابَ عَنْـكَ فإنّـه * عَلِـيمٌ بأَسْـرارِ الحَيـاةِ بَصِـير

يُخَـبِّرُكَ الأَعْمَى وإنْ كنتَ مُبْصِرًا * بمـا لَمْ تُخَـبِّرْ أَحْرُفٌ وسُـطُور

كأنّى بسَـمْعِ الغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بـهِ أسـتاذُنا ويُحِـير (٥)

يُنـاجِيكَ : أَهْلًا بالّذى عاشَ عَيْشَنا * ومات ولَمْ يَـدْرُجْ اليـه غُرُور (٦)

قَضَيْتَ حَيـاةً مِلْؤُها الـبِرُّ والتُّقَى * فأنتَ بأَجْـرِ المُتَّقِينَ جَـدِير

وسَمَّوْكَ فيهـمْ فَيْلَسُـوفًا وأَمْسَكُوا * وما أنتَ إلا مُحْسِنٌ ومُجِـير

وما أنتَ إلّا زاهِـدٌ صاحَ صَـيْحَةً * يَرِنُّ صَـداهَا ساعَـةً ويَطِـير

---

(١) الحطام : المال . والكياد : المكايدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفرقها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته .

(٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعرّى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . وبالآخر : العمى . وثاو : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون .

(٣) يريد «بالشيخ» : أبا العلاء .

(٤) الاحتشام : الحياء .

(٥) أحار الجواب يحيره : ردّه .

(٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

سَلَوْتَ عن الدُّنيا ولكنّهم صَبَوْا * إليها بما تُعْطِيهِمُ وتُمِير (١)

حَيَاةُ الورَى حَرْثٌ وأنتَ تُريدها * سَلاماً وأَسْبابُ الكِفاحِ كَثِير

أَبَتْ سُنّةُ العُمْرانِ إلّا تَناحُرًا * وكَدْحًا ولو أنّ البَقاءَ يَسِير

تُحاوِلُ رَفْعَ الشَّرِّ والشرُّ واقِعٌ * وتَطْلُبُ مَحْضَ الخَيْرِ وهو عَسِير

ولولا امْتِزاجُ الشَّرِّ بالخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ على أنّ الإلٰهَ قَدِير

ولم يَبْعَثِ اللهُ النَّبِيِّينَ للهُدَى * ولَمْ يَتَطَلَّعْ للسَّرِيرِ أَمِير

ولَمْ يَعْشَقِ العَلْياءَ حُرٌّ ولَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ ولَمْ يَرْجُ الثَّرَاءَ فَقِير

ولو كانَ فِينا الخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا * إلى اللهِ داعٍ أو تَبَلَّجَ نُور (٢)

ولا قِيلَ هٰذا فَيْلَسُوفٌ موفَّقٌ * ولا قِيلَ هٰذا عالِمٌ وخَبِير

فكَمْ فِي طَرِيقِ الشرِّ خَيرٍ ونِعْمَةٍ * وكم فى طَرِيقِ الطَّيِّباتِ شُرُور (٣)

أَلَمْ تَرَ أنّى قُمْتُ قَبْلَكَ داعِيًا * الى الزُّهْدِ لا يَأْوِى الى ظَهِير (٤)

أَطاعُوا (أَبِيقُورًا) و(سُقْراطَ) قَبْلَه * وخُولِفْتُ فيما أَرْتَئِي وأُشِير (٥)

---

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأتيهم بالميرة ، وهى الطعام .

(٢) تبلج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع فى قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بمجرور ومجرور : أو جره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد ابيقور الفيلسوف الإغريقى سنة ٣٤٢ ق م فى جزيرة ساموس ، وأسس فى أثينا مدرسة فى حديقة منزله . وتوفى سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر بدعوته إلى طلب اللذات فى الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يونانى معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م الى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه فى اللذة بالضبط ، من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب اليه ، منها مذهب اللذة .

obeikandi.com

ومِتّ وما ماتَتْ مَطامِعُ طامِعٍ * عليها ولا أَلْقَى القِيادَ ضَمِيرُ

إذا هُدِمَتْ للظُّلْمِ دُورٌ تَشَيَّدَتْ * له فَوْقَ أَكْتَافِ الكَواكِبِ دُورُ

أفاضَ كِلَانا فى النَّصيحَةِ جاهِدًا * ومات كِلانا والقُلُوبُ صُخُورُ

فكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ المَساكِينِ باطِلٌ * وكَمْ قِيلَ عنْ شَيْخِ (المَعَرَّةِ) (٢) زُورُ

وما صَدَّ عَنْ فِعْلِ الأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وما راعَ مَفْتُونَ الحَياةِ (٣) نَذِيرُ

رثاء رياض باشا (٤)

أنشدها على قبره فى حفل الأربعين

[نشرت فى ٢٩ يوليه سنة ١٩١١ م]

(رِياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ واسْتَمِعْ * حَدِيثَ الوَرَى عَنْ طِيبِ ما كُنْتَ (٥) تَصْنَعُ

أَفِقْ واسْتَمِعْ مِنِّى رِثاءً جَمَعْتُهُ * تُشارِكُنى فيهِ البَرِيَّةُ أَجْمَعُ

لِتَعْلَمَ ما تَطْوِى الصُّدُورُ مِنَ الأَسَى * وتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الحَشَا كيفَ يَجْزَعُ

---

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحبل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماه الناس فى عقيدته ومذهبه بما هو برىء منه . (٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية فى عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى ، وأسندت اليه رآسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفى بالأسكندرية فى ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة فى تنفيذ الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء فى تنظيم شؤون الداخلية . (٥) الغمرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِّرتَ دَهْرًا لقد بَكَى * عليكَ مَعَ الباكى خَلائِقُ أَرْبَعُ:
مَضاءٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ وعَزْمَةٌ * مِنَ الصّارِمِ المَصْقُولِ أَمْضَى وأَقْطَعُ (١)
رُحِمْتَ ، فما جاءٌ يُنَوِّهُ فى العُلا * بصاحِبِهِ إلّا وجاهُكَ أَوْسَعُ (٢)
ولا قامَ فى أَيّامِكَ البِيضِ ماجِدٌ * يُنازِعُكَ البابَ الّذى كنتَ تَقْرَعُ
إذا قِيلَ : مَنْ للرَّأْىِ فى الشَّرْقِ أَوْمَأَتْ * إلى رَأْيِكَ الأَعْلَى مِنَ الغَرْبِ أَصْبَعُ (٣)
وإنْ طَلَعَتْ فى (مِصْرَ) شَمْسُ نَباهَةٍ * فمِنْ بَيْتِكَ المَعْمُورِ تَبْدو وتَطْلُعُ
حَكَمْتَ فما حَكَّمْتَ فى قَصْدِكَ الهَوَى * طَرِيقُكَ فى الإنْصافِ والعَدْلِ مَهْيَعُ (٤)
وقد كنتَ ذا بَطْشٍ ولكنْ تَحْتَهُ * نَزاهَةَ نَفْسٍ فى سَبِيلِكَ تَشْفَعُ (٥)
وَقَفْتَ (لإسماعيلَ) والأمرُ أَمْرُهُ * وفى كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ البَطْشِ يَلْمَعُ (٦)
إذا صاحَ لَبّاهُ القَضاءُ وأَسْرَعَتْ * إلى بابِهِ الأيّامُ ، والناسُ خُشَّعُ
يُذِلُّ — إذا شاءَ — العَزِيزَ وتَرْتَئِى * إرادَتُهُ رَفْعَ الذَّلِيلِ فيُرْفَعُ
ففى كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وهوَ عابِسٌ * تُدَكُّ جِبالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعْزَعُ (٧)

---

(١) الصارم المصقول : السيف المجلو . (٢) نوّه به : رفع ذكره .
(٣) أومأت : أشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .
(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس اذا أخذهم بالقسوة والعنف فى تنفيذ الأحكام . (٦) يشير الى معارضته (اسماعيل باشا) الخديوى عند ما أراد نفى (اسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذى عارض فى هذا النفى ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .
(٧) تدك : تهدم .

obeikandl.com

وفى كرَّةٍ مِنْ لَحْظِه وهـــوَ باسِمٌ * تَسِـــيلُ بِحـارٌ بالعَطاءِ فَتُمْـرِعُ (١)

فما أَغْلَبٌ شاكِى العَـــزِيمَةِ أَرْوَعٌ * يُصـارِعُه فِى الغـابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ (٢)

بأَجْرَأَ مِنْ ذاكَ الوَزِيرِ مُصـادِماً * إرادةَ (إسْمـاعيلَ) والمـوتُ يَسْـمَعُ (٣)

وفى الثَّوْرَةِ الكُبْرَى وقد أَحْدَقَتْ بِنـا * صُرُوفُ اللَّيـالِى والمَنِيَّـةُ مَشْرَعُ (٤)

نَظَرْتَ الى (مِصْرٍ) فساءَكَ أَنْ تَرَى * حُـــلاهَا بأَيْدِى المُسْـتَطِيلِينَ تُنْزَعُ (٥)

وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَـــبْراً على هَتْكِ خِدْرِها * ففارَقْتَها أَسْـوانَ والقَلْبُ مُوجَـعُ (٦)

وعُـــدْتَ اليهـا حِينَ ناداكَ نِيلُها : * أَقِلْ عَثْرَتِى فالقَوْمُ فى الظُّلْمِ أَبْدَعُـوا (٧)

فكنتَ (أبا مَحْمُـودَ) غَوْثاً وعِصْـمَةً * اليـكَ دُعاةُ الحَـقِّ تَأْوِى وتَفْـزَعُ (٨)

وكم نابِغٍ فى أَرْضِ (مِصْرَ) حَمَيْتَـه * ومِثْـلُكَ مَن يَحْمِى الكَرِيمَ ويَمْنَـعُ (٩)

---

(١) تمرع ، أى تفيض بالخصب والخير . (٢) الأغلب : الأسد ، لغلظ رقبته . وشاكى العزيمة ، أى ذو شوكة وحدّة فى عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربه .

(٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالى : نوائبها . والمشرع : المورد .

(٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .

(٧) العثرة : الكبوة والزلة . وإقالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوربا ، عند ما ثار الضباط فى عهد إسماعيل فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يرفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فتظاهروا أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيد ، وكان وزيرا للداخلية فى هذه الوزارة ؛ وقد بقى الفقيد فى أوربا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولى رآسة النظار ، فعاد إلى مصر فى ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله « وكم نابغ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمدّه به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها رخصت له فى إلقاء محاضرات فى الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

obeikandl.com

رَعَيْتَ (جَمالَ الدِّينِ) ثمّ اصْطَفَيْتَه * فأَصْبَحَ فى أَفْيائِهِ جاهِكَ يَرْتَعُ (١)

وقد كانَ فى دارِ الخلافةِ ثاوِيًا * وفى صَدْرِه كَنْزٌ مِنَ العِلْمِ مُودَعُ (٢)

فَجِئْتَ به والنّاسُ قد طالَ شَوْقُهُمْ * إلى أَلْمَعِيٍّ بالبَراهِينِ يَصْدَعُ (٣)

فَحَرَّكَ مِن أَفْهامِهِمْ وعُقُولِهِمْ * وعاوَدَهُمْ ذاكَ الذَّكاءُ المُضَيَّعُ

ووَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الوَقائِعِ (عَبْدَهُ) * فجاءَ بما يَشْفِى الغَلِيلَ ويَنْقَعُ (٤)

وكانتْ لرَبِّ النّاسِ فيه مَشِيئَةٌ * فأَمْسَتْ إليه النّاسُ فى الحَقِّ تَرْجِعُ (٥)

وجاءُوا (بإبراهيمَ) فى القَيْدِ راسِفًا * عليه مِنَ الإمْلاقِ ثوبٌ مُرَقَّعُ (٦)

فأَلْفَيْتَ مِلْءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طَمُوحةً * الى المَجْدِ مِنْ أَطْمارِها تَتَطَلَّعُ (٧)

فأَطْلَقْتَه مِنْ قَيْدِه وأَقَلْتَه * وما كانَ فى تِلْكَ السَّعادَةِ يَطْمَعُ

وكَمْ لك فى (مِصْرٍ) وفى (الشّأْمِ) مِنْ يَدٍ * لها أينَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ (٨)

---

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد فىء .

(٢) ثاويا : مقيما .

(٣) الألمعى ، الذكى المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه فى سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موئلا للحق .

(٦) يريد بابراهيم : ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والمجىء به متهما أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ماعهد فعفا عنه ، وتولاه برعايته .

(٧) نفسا طموحة ، أى مستشرفة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) .

(٨) تتضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعْتَ عن الفَـــلّاحِ عِبْءَ ضَرِيبَـةٍ * يَنُـــوءُ بِهـا أَيّامَ لا غَوْثَ يَنْـــفَعُ (١)

وأَرْهَبْتَ حُكّامَ الأقالِـيمِ فارْعَـــوَوْا * وكانُوا أُناسًا فى الجَهالَةِ أَوْضَـــعُوا (٢)

نخافُـــوكَ حتّى لو تَنـاجَوْا بِنَجْـــوَةٍ * لَخالُوا (رِياضًـا) فوقَهُـــمْ يَتَسَـــمَّعُ (٣)

أَقَمْتَ عليهِـــمْ زاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِـــمْ * اذا سَـــوَّلَتْ أَمْرًا لهُـــمْ قامَ يَرْدَعُ (٤)

سَـلِ النّـاسَ أيّامَ الرُّشـا مُسْتَفِيضَةٌ * وأيّامَ لا تَجْـنِى الّـــذى أنتَ تَزْرَعُ (٥)

أكانَ (رِياضٌ) عنهُـمُ غيرَ غافِلٍ * يَرُدُّ الأَذَى عن أهلِ (مِصْرَ) ويَدْفَـعُ

(أمُؤْتَمَرَ الإصْلاحِ) والعُرْفِ، قد مَضَى * (رِياضٌ) وأَوْدَى الـوازِعُ المُتَـــوَرِّعُ (٦)

وكانَ عَـــلَى كُرْسِـــيِّهِ خـيرَ جالِسٍ * لَهَيْبَتِـــهِ تَعْنُـو الوُجُـوهُ وتَخْشَـــعُ (٧)

فيـاوَيْلَنا إنْ لَمْ تَسُـــدُّوا مَكانَهُ * بِـــذِى مِرَّةٍ فى الخَطْبِ لا يَتَضَعْضَعُ (٨)

---

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الغاء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التى كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأوضعوا فى الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تسارّوا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتثليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله .

(٦) يشير الى أثر الفقيد فى مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الردّ على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : هلك . والوازع : الزاجر . والمتورّع : المنحرج .

(٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المرّة : القوة والعزيمة .

بَعِيدِ مَرامِ الفِكْرِ أمَّا جَنانُه * فَرَحْبٌ ، وأمَّا عِزُّهُ فمُمَنَّعُ (١)

فَيا ناصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ إذا عَدَا * عليهِمْ زَمانٌ بالعَداوَةِ مُولَعُ (٢)

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ ما قامَ بَيْنَنا * وَزِيرٌ على دَسْتِ العُلا يَتَرَبَّعُ (٣)

رثاء الشيخ على يوسف (٤) صاحب المؤيد

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُونُوا يَراعَ (عَلِيٍّ) فى مَناحِفِكُمْ * وشاوِرُوه لَدَى الأَرْزاءِ والنُّوَبِ

واسْتَلْهِمُوه إذا ما الرَّأْىُ أَخْطَأَكُمْ * يومَ النِّضالِ عن الأَوْطانِ والنَّشَبِ (٥)

قد كان سَلْوَةَ (مِصْرٍ) فى مَكارِهِها * وكانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) ساعَةَ الغَضَبِ

فى شِقِّه ومَراميهِ ورِيقَتِه * ما فى الأَساطِيلِ مِنْ بَطْشٍ ومِنْ عَطَبِ (٦)

كم رَدَّ عَنّا وعَيْنُ الغَرْبِ طامِحَةٌ * مِن الرَّزايا وكَمْ جَلَّى مِنَ الكُرَبِ (٧)

---

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد فى بلصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم فى بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوة الحجة ، وتولى مشيخة سجادة الوفائية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

له صَـــريرٌ اذا جَـــدَّ الـــتِّرَالُ به * يُنْسِى الكُمَاةَ صَلِيلَ البِيضِ والقُضُبِ (١)

ما ضَرَّ مَنْ كان هٰـــذا فى أَنامِلِه * أنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ الى يَلَبِ (٢)

فـلو رآه (آبنُ أَوْسٍ) ما قَرَأْتَ له : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِن الكُتُبِ) (٣)

أَلَا فَـــتًى عَربِىٌّ يَسْـــتَقِلُّ بـــه * بعـــدَ الفَقِيد ويَحْمِى حَـوْزَةَ الأَدَبِ

ويَمْنَـعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشِى تَبَلُّجَه * ما فى السِّياسَةِ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبِ (٤)

أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحافَةِ بَلْ * شَـــيْخُ الوَفائِيَّـــةِ الوَضَّاحَةِ الحَسَبِ

أَقَامَ فِينَـــا عِصَامِيًّـــا فعَلَّمَنَـــا * مَعْنَى الثَّبَـــاتِ ومَعْنَى الجِدِّ والدَّأَبِ (٥)

ورَاحَ عَنَّـــا ولَمْ تَبْلُـــغْ عَزَائِمُنَـــا * مَدَى مُنَـــاها ولَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ

قالوا عَجِبْنَـــا لِمِصْرٍ يومَ مَصْـــرَعِهِ * وقد عَجِبْتُ لهمْ مِنْ ذٰلك العَجَبِ (٦)

---

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصـوات السيوف . والكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمام . والشطر الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

فحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ، نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سوّدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا لأهل مصر فى تلقيهم نعى الفقيد فى فتور وقلة اكتراث .

إنّ الأُلَى حَسِبُوها غيرَ جازِعَةٍ * لا يَنْظُرونَ إلى الأَشْياءِ مِنْ كَثَبِ (١)

تاللهِ ما جَهِلَت فيه مُصيبَتَها * ولا الّذى فَقَدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ

لكنّها أَلِفَتْ والأَمرُ يَحْزُبُها * فَقْدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السّادةِ النُّجُبِ (٢)

وعَلَّمَتْها اللّيالى أَنْ تُصابِرَها * فى الحادِثاتِ وإِنْ أَمْعَنَّ فى الحَرَبِ (٣)

كم أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فِينا شَرَّ مُرْتَقَبِ (٤)

وإِنْ يَمُتْ تَمُتِ الآمالُ فى بَلَدٍ * لولَا (المُؤَيَّدُ) لَمْ يَنْشَطْ إلى طَلَبِ

صُبابَةٌ مِنْ رَجاءٍ بين أَضْلُعِنا * قد باتَ يَرْشُفُ منها كلُّ مُغْتَصَبِ (٥)

أَلَمْ يَكُنْ لبَنِى (مِصْرٍ) وقد دُهِمُوا * مِنْ ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشِبِ (٦)

كم أَنبَرَتْ فيه أَقْلامٌ وكم رُفِعَتْ * فيه مَنابِرُ مِنْ نَظْمٍ ومِنْ خُطَبِ

وكانَ مَيْدانَ سَبْقٍ للأُلَى غَضِبُوا * للدِّينِ والحَقِّ مِنْ داعٍ ومُحْتَسِبِ

فكم يَراعٍ حَكِيمٍ فى مَشارِعِه * قد الْتَقَى بيَراعِ الكاتِبِ الأَرِبِ (٧)

---

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء . (٥) الصبابة : البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق . (٦) الضمير فى « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : الممتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

أَىُّ الصَّحائِفِ فى القُطْرَيْنِ قد وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمامِ)[1] مُزِيلِ الشَّكِّ والرِّيَبِ

أيّامَ يَحْصِبُ (هانُوتُو) بِفِرْيَتِهِ * وَجْهَ الحَقِيقَةِ والإسْلامُ فى نَحَبِ[2]

مالى أُعَدِّدُ آثارَ الفَقِيدِ لَكُمْ * والشرقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ والغَلَبِ

لولا (المُؤَيَّدُ) ظَلَّ المُسْلِمُون على * تَناكُرٍ بينهمْ فى ظُلْمَةِ الحُجُبِ

تَعارَفُوا فيهِ أَرْواحًا وضَمَّهُمُ * رَغْمَ التنائِى زِمامٌ غيرُ مُنْقَضِبِ[3]

فى مِصْرَ فى تُونُسٍ فى الهِنْدِ فى عَدَنٍ * فى الرُّوسِ فى الفُرْسِ فى البَحْرَيْنِ فى حَلَبِ

هٰذا يَحِنُّ إلى هٰذا وقد عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بينهمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ

(أبا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ ما تَرَكَتْ * فينا يَداكَ وما عانَيْتَ مِنْ تَعَبِ

جاهَدْتَ فى اللهِ والأَوْطانِ مُحْتَسِبا * فارجِعْ إلى اللهِ مَأْجُورًا وفُزْ وطِبِ

واحمِلْ يُمْناكَ يومَ النَّشْرِ ما نَشَرَتْ * تلك الصَّحِيفَةُ فى دُنْياكَ وانتَسِبِ[4]

---

(١) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده. ويشير إلى ردّه على هانوتو الذى نشره فى صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرمى. والفرية: الكذبة. والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن): أشد البكاء.

(٣) التنائى: التباعد. ومنقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهى حسبك من نسب.

obeikandi.com

رثاء على أبى الفتوح[1] باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه فى الجامعة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

جَلَّ الأَسَى فَتَجَمَّلِي * واذا أَبَيْتِ فأَجْمِلِي[2]

يامِصْرُ قد أَوْدَى فَتًى * كِ ولا فَتًى إلّا (عَلِي)

قد ماتَ نابِغَةُ القَضا * ءِ وغابَ بَدْرُ المَحْفِلِ

وعَدَا القَضاءُ على القَضا * ءِ فصابَه فى المَقْتَلِ[3]

حَلّالُ عَقْدِ المُعْضِلا * تِ قَضَى بِداءٍ مُعْضِلِ

وَيْحَ الكِنانَةِ مالَهَا * فى غَمْرَةٍ لا تَنْجَلِي[4]

باتَتْ وكارِثَةٌ تَمُرُّ بِها * وكارِثَةٌ تَلِي

يازَهْرَةَ الماضِى ويا * رَيْحانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنّا نُعِدُّكَ للشّدا * ئِدِ فى الزّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) على أبو الفتوح باشا ، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا . ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبليه بفرنسا ، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس ، وقد شهد له أساتذته فى تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها . وكان ينشر بعض المباحث فى المجلات الفرنسية ، وعاد الى مصر فى سنة ١٨٩٥ م . وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالة المعارف فى ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م .

(٢) تجمل ، أى لا تظهرى الجزع . وأجملى ، أى ارفقى ، يخاطب مصر .

(٣) يريد « بالقضاء » الأول : الموت ، وبالثانى : الفصل فى الخصومات .

(٤) الغمرة : ما يغمر الناس ، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء .

obeikandi.com

يا لابسَ الخُلُقِ الكَرِيـ * ـمِ المُطْمَئِنِّ الأَمْثَـلِ

فارَقْتَنَا فى حِينِ حا * جَتِنـا ولَمْ تَتَمَهَّـلِ

(١)
يا رامِيًـا صَدْرَ الضَّعا * ـبِ رَماكَ رامِى الأَجْدَلِ

(٢)
يا حافِظًا غَيْبَ الصَّدِيـ * ـقِ ويا كَرِيمَ المَقْـوَلِ

(٣)
أَىُّ المَحـامِدِ غَضَّـةٌ * بِحُـلاكَ لَمْ تَتَجَمَّـلِ

(٤)
تَلْهُـو لِداتُكَ بالصِّبا * لَهْـوًا وأنتَ بِمَعْـزِلِ

تَسْـعَى وَراءَ البـاقِيا * تِ الصالِحاتِ وتَعْتَلِى

(٥)
بِيـنَ المَحـابِرِ والدَّفا * تِرِ دائِبًـا لا تَأْتَـلِى

أَدْرَكْتَ عِـلْمَ الآخِرِيـ * ـنَ وحُزْتَ فَضْلَ الأَوَّلِ

(٦)
أَدْنَى مَرامِكَ هِمَّـةٌ * فـوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ

وأَجَلُّ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرًا) تَسُودُ وتَعْتَـلِى

(٧)
دَرَجَ الأَحِبَّـةُ بَعْدَ ما * تَرَكُوا الأَسَى والحُزْنَ لِى

(٨)
لَمْ يَحْـلُ لى مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ ولَـمْ أَتَعَـلَّلِ

---

(١) الأجدل : الصقر ، وهو معروف بالحـذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشدّ المخلوقات حذرا وحرصا .

(٢) المقول : اللسان .

(٣) الغضة : الناضرة .

(٤) لداتك : من ولدوا معك .

(٥) لاتأتلى : لاتقصر .

(٦) السماك : اسم يطلق على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرامح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ؛ وهو من منازل القمر ؛ والرامح ليس من منازله .

(٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلَّ عامٍ وقْفَـةٌ * حَرَّى على مُـتَرَحِّلِ

أَبْـكِى بُكاءَ الثَّـاكِلا * تِ وأَصْطَلِى ما أَصْطَلِى (١)

لَمْ يُبْقِ لى يَـوْمُ الفَقِيـ * ـدِ عَزِيمَـةً لَمْ تُفْـلَلِ

يومٌ عَبُوسٌ قـد مَضَى * بِفَـتًى أَغَرَّ مُحَجَّـلِ (٢)

مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَه * عنـد القَضـاءِ المُنْزَلِ

لم يَدْرِ ما قَصْمُ الظُّهُـو * رِ ولا انْخِزالُ المَفْصِلِ (٣)

يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْـ * ـتَ بِوَجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ

عَفَّسْتَ منـه نَضْرَةً * كانتْ رِياضَ المُجْتَلِى (٤)

وعَبَثْتَ منـه بِطُـرَّةٍ * سَـوْداءَ لَمّـا تَنْصُـلِ (٥)

يا قَبْرُ هَـلْ لَعِبَ البِلَى * بِلِطـافِ تلك الأَنْمُـلِ؟

لَهْفِى عليهـا فى الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الجَدْوَلِ (٦)

لَهْفِى عليهـا فى الحِدَا * لِ تَحُـلُّ عَقْدَ المُشْكِلِ

لَهْفِى عليهـا للـرَّجَا * ءِ وللعُفـاةِ السُّـؤَّلِ (٧)

---

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : اصلهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

obeikandi.com

يا قَـبْرُ ضَـيْفُكَ بَيْنَنَا * قَـد كانَ خَيْرَ مُؤَمَّلِ
لَمْ يَنْقَبِضْ كِبْراً بِنَا * دِيـــه ولَمْ يَتَبَـــذَّلِ
إنِّى حَلَلْتُ رِحابَـــه * فَـــنَزَلْتُ أكرَمَ مَنْزِلِ
ونَهِلْتُ مِنْ أَخْلاقِه * فَوَرَدْتُ أَعْذَبَ مَنْهَلِ (١)

رثاء فتحى وصادق

قالها فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق ، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر ، و يؤمل فيها وصول الطيار الآخر نورى بك سالما

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٤م]

أُخْتَ الكَواكِبِ ما رَمَا * كِ وأنتِ رامِيَـــةُ النُّسُـــورِ؟ (٢)
ما ذا دَهاكِ وفَـــوْقَ ظَهْـ * ـرِكِ مَرْبِضُ الأَسَدِ الهَصُورِ؟ (٣)
خَضَعَتْ لإِمْرَتِه الـــرِّيا * حُ مِنَ الصَّبا ومِنَ الدَّبُورِ (٤)
فغَـــدا يُصَرِّفُ مِنْ أَعِـ * ـنَّتِها تَصارِيفَ القَـــدِيرِ
(فَتْحِى) وهَـــلْ لى إنْ سَأَلْـ * ـتُ عَنِ المُصِيبَةِ مِنْ مُجِيرِ؟ (٥)
وَيْلاهُ هَـــلْ جُزْتَ الحُـدُو * دَ وأنتَ مُخْتَرِقُ السُّـــتُورِ؟ (٦)

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب ، يخاطب الطائرة .
(٣) مربض الأسد : موضع ربوضه ، أى بروكه . والهصور : الذى يهصر فريسته ، أى يكسرها .
(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المجير : المجيب .
(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض ، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

فـرَماكَ حُرّاسُ السّـما * ءِ وتلكَ قاصِمَـةُ الظُّهُـورِ (١)

أمْ غارَ مِنْـكَ السابِحَـا * تُ وأنتَ تَسْبَحُ فى الأثِيرِ (٢)

حَسَدَتْكَ حِينَ رَأَتْكَ وَحْـ * ـدَكَ ثَمّ كالفَـلَكِ المُنِـيرِ

والعَيْنُ مِثْـلُ السَّهْمِ تَنْـ * ـفُـذُ فى الرَّمِيَّةِ والنُّحُـورِ (٣)

حاوَلْتَ أنْ تَرِدَ المَجَـرَّةَ والوُرُودُ مِنَ العَسِـيرِ

فـوَرَدْتَ يا (فَتْحى) الحِمـا * مَ وأنْتَ مُنْقَطِـعُ النَّظِـيرِ

وهَـوَيْتَ مِنْ كَبِدِ السَّما * ءِ وهٰكَذا مَهْوَى البُـدُورِ

إنْ كانَ أعْيـاكَ الصُّعـو * دُ بذٰلكَ الجَسَـدِ الطَّهُـورِ

فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْـدَها * وَاصْعَدْ إلى المَلِكِ الكَبِـيرِ

إنْ راعَنـا صَـوْتُ النَّعِـيِّ وفاتَنـا نَبَـأُ البَشِـيرِ (٤)

فَلَعَـلَّ مَنْ ضَـنَّتْ يَدا * هُ عـلى الكِنانَةِ بالسُّـرُورِ

أنْ يَسْتَجِيبَ دُعاءَهـا * فى حِفْظِ صاحِبِكَ الأَخِـيرِ

باتَتْ تُـراقِبُ فى المَشـا * رِقِ والمَغارِبِ وَجْهَ (نُورِى)

---

(١) يريد بهذا البيت تشبيه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشهبها المرسلة عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) .

(٣) يجارى فى هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم فى تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفزعنا .

رثاء الدكتور شبلى شميـــل (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى نادى جمعية الاتحاد السورى فى مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرابِ * إنّ ذاكَ السُّكُونَ فَصْلُ الخِطابِ

لَقِيَ اللهَ رَبَّهُ فاتْرُكُوا المَرْ * ءَ لِدَيَّانِهِ فَسِيحِ الرِّحابِ

حَزِنَ العِلْمُ يومَ مِتَّ ولكنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَيْحَةَ المُرْتابِ (٢)

كنتَ تَبْغِي بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرْ * ضِ وتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللُّبابِ

فاسْتَرِحْ أَيُّها المُجاهِدُ واهْدَأْ * قد بَلَغْتَ المُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ

وعَرَفْتَ اليَقِينَ وانْبَلَجَ الحَقُّ لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كالشِّهابِ (٣)

لَيْتَ شِعْرِى وقد قَضَيْتَ حَيَاةً * بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وارْتِيابِ

هل أَتَاكَ اليقينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ فشَكُّ الحَكِيمِ بَدْءُ الصَّوابِ

كم سَمِعْنا مُسائِلًا قَبْلَ (شِبْلِى) * عاشَ فى البَحْثِ طارِقًا كلَّ بابِ

أَطْلَقَ الفِكْرَ فى العَوالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتْكَ الحِجابِ (٤)

---

(١) الدكتور شبلى شميل ، هو الطبيب اللبنانى نزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء . ولد فى نحو سنة ١٨٥٠ م ، فى قرية كفرشيما من قرى ساحل لبنان ، وهى القرية التى ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجى . وتعلم العلوم الطبيعية والطب فى كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه فى أوربا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، والى هذا يشير حافظ فى قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفى سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرتاب : الشاك فى العقيدة . (٣) انبلج : أضاء وأشرق . (٤) يريغ : يطلب .

يَقْرَعُ النَّجْمَ سائِلًا ثمّ يَرْتَدُّ * الى الأرضِ باحِثًا عن جَوابِ

أَعْجَزَتْه مِنْ قُدْرَةِ الله أَسْبا * بٌ طَواها مُسَبِّبُ الأَسْبابِ

وَقَفَتْ دُونَها العُقُولُ حَيارَى * وَٱنْثَنَى هِبْرِزِيُّها وهو كابِي (١)

لَمْ يَكُنْ مُلْحِدًا ولٰكِنْ تَصَدَّى * لشُؤُونِ المُهَيْمِنِ الوَهّابِ

رامَ إِدْراكَ كُنْهِ ما أَعْجَزَ النا * سَ قَدِيمًا فلَمْ يَفُزْ بالطِّلابِ

إِيهِ شِبْلِي قد أَكْثَرَ الناسُ فِيكَ الْـ * ـقَوْلَ حتّى تَفَنَّنُوا فى عِتابِي

قِيلَ : تَرْثِى ذاكَ الّذى يُنْكِرُ النُّو * رَ ولا يَهْتَدِى بهَدْيِ الكِتابِ؟

قلتُ : كُفُّوا فإنّما قُمْتُ أَرْثِي * منه خِلًّا أَمْسَى طَوِيلَ الغِيابِ

أنا واللهِ لا أُحابِيهِ فى القَوْ * لِ فقد كانَ صاحِبِي لا يُحابِي

أنا أَرْثِي شَمائِلًا منه عِنْدِى * كُنَّ أَحْلَى مِن الشَّهادِ المُذابِ (٢)

كانَ حُرَّ الآراءِ لا يَعْرِفُ الخَتْـ * ـلَ ولا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحابِ (٣)

مُفْضِلًا مُحْسِنًا على العُسْرِ واليُسْـ * ـرِ جميعَ الفُؤادِ رَحْبَ الجَنابِ (٤)

عاشَ ما عاشَ لا يُلِيقُ على الأيّـ * ـامِ مالًا ولَمْ يَلِنْ للصِّعابِ (٥)

كانَ فى الوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الكُتْـ * ـبُ وفى العِلْمِ مَوضِعَ الإعجابِ

---

(١) الهبرزى : المقدام . والكابى : العاثر المنكب على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل : المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب . (٥) يقال : فلان لا يليق درهما لسخائه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطِّبُّ فِيـــه يـومَ تَـــوَلَّى * وأُصِـــيبَتْ رَوائِـــعُ الآدابِ
وخَـــلَا ذلكَ النَّـــدِيُّ مِنَ الأُنْـ * ـسِ وقـدكان مَرْتَعَ الكُتّابِ (١)
وبَكَتْ فَقْـــدَه الشـــآمُ وناءَتْ * فـوقَ ما نابَهـا بهٰـــذا المُصـابِ (٢)
كلَّ يَوْمٍ يُهَـدُّ رُكْنٌ مِنَ الشَّـأ * ـمِ، لقـــد آذَنَتْ إذاً بالخَـــرابِ (٣)
فهىَ (باليازِجى) و (جُرْجِى) و (شِبْلِى) * فُجِعَتْ بالثَّـــلاثَـــةِ الأَقْطابِ (٤)
فعَـــلَى الرّاحِـــلِ الكريمِ سَـلَامٌ * كلَّمـا غَيَّبَ الـــثَّرَى لَيْثَ غابِ

رثاء جـــورجى زيدان (٥)

ســـنة ١٩١٤

دَعانِى رِفاقِى والقَوافِى مَرِيضَةٌ * وقد عَقَدَتْ هُوجُ الخُطوبِ لِسانِى (٦)
فجِئْتُ وبِى ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسًى * ومِنْ كَمَدٍ قد شَـفَّنِى وبَرانِى

---

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل .
(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجى ، هو جرجى زيدان (وسيأتى التعريف به فى الحاشـية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمـة لبنان فى سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لايدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤م ، وتآليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و (تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى : كناية عن قلة مواتاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِلْتُ وُقوفِي بينكُمْ مُتَلَهِّفا * على راحِلٍ فارَقْتُه فشَجانِي

أَفِي كلِّ يومٍ يَبْضَعُ الحُزْنُ بَضْعَةً؟ (١) * مِن القَلْبِ إنِّي قد فَقَدْتُ جَنانِي

كَفانِيَ ما لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الأَسَى * وما نَابَنِي يومَ (الإمامِ) (٢) كَفانِي

تَفرَّقَ أَحْبابِي وأَهْلِي وأَخَّرَتْ * يَدُ اللهِ يَوْمِي فانْتَظَرْتُ أَوانِي

ومالِي صَدِيقٌ إنْ عَثَرْتُ أَقالَنِي * ومالِي قَرِيبٌ إنْ قَضَيتُ بَكانِي (٣)

أَرانِيَ قد قَصَّرْتُ فى حَقِّ صُحْبَتِي * وتَقْصِيرُ أَمْثالِي جِنايَةُ جانِي

فلا تَعْذِرُونِي يومَ (فَتْحِي) (٤) فإنَّنِي * لَأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ

فقد غابَ عنّا يومَ غابَ ولَمْ يَكُنْ * له بَيْنَ هالاتِ النَّوابِغِ ثانِي

وفى ذِمَّتِي (لليازِجِيِّ) (٥) وَدِيعَةٌ * وأُخْرَى (لزَيْدانٍ) (٦) وقد سَبَقانِي

---

(١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد «بفتحى» : أحمد فتحى زغلول باشا العالم القانونى المعروف ، ولد فى سنة ١٨٦٣ م بابيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية . وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدنى . وقد مات فتحى ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه فى ذلك .

(٥) الهالة : دارة القمر التى تحيط به . (٦) يريد «باليازجى» : الشيخ إبراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ؛ ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا فى أنواع أخرى من العلوم . وتوفى سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى فى سنة ١٨٩٧ م والثانية فى سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجى معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

obeikandl.com

فيالَيْتَ شِعْرِى ما يَقُولانِ فى الثَّرَى * إذا الْتَقَيَا يوماً وقَدْ ذَكَرانِى

وقد رَمَيَا بالطَّرْفِ بين جُمُوعِكُمْ * ولَمْ يَشْهَدا فى المَشْهَدَيْنِ مَكانِى

أيَجْمُلُ بى هٰذا العُقوقُ وإنّما * على غيرِ هٰذا العَهْدِ قد عَرَفانِى

دَعانى وَفائى يومَ ذاكَ فلَمْ أَكُنْ * ضَنِينًا ولكنَّ القَرِيضَ عَصانِى

وقد تُخْرِسُ الأَحْزانُ كلَّ مُفَوَّهٍ (١) * يُصَرَّفُ فى الإنْشادِ كلَّ عِنانِ

أَأَنْساهُما والعِلْمُ فوقَ ثَراهُما * تَنَكَّسَ مِنْ أَعْلامِه عَلَمانِ

وكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ (٢) * وكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّياءِ) بَيانِى

(أَزَيْدانُ) لا تَبْعَدْ وتِلْكَ عُلالَةٌ (٣) * يُبادِى بها النَّاعُونَ كلَّ حُسانِ

لكَ الأَثَرُ الباقِى وإنْ كنتَ نائِيًا * فأنتَ على رَغْمِ المَنِيَّةِ دانِى

ويا قبرَ (زَيْدانٍ) طَوَيْتَ مُؤَرِّخًا (٤) * تَجَلَّى له ما أَضْمَرَ الفَتَيانِ

وعَقْلًا ولُوعًا بالكُنُوزِ فإنّه (٥) * على الدُّرِّ غَوّاصٌ بِبَحْرِ (عُمانِ)

وعَزْمًا شآمِيًّا له أَيْنَما مَضَى (٦) * شَبا هِنْدُوانِىٍّ وحَدُّ يَمانِى

---

(١) المفوه : المنطيق . والعنان : سير اللجام . ويريد بقوله « يصرف فى الإنشاد... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب .

(٢) رب الهلال : جورجى زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجى . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده اذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم .

(٤) تجلى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ .

(٦) شبا هندوانى ، أى سن رمح منسوب الى الهند . وحد يمانى ، أى حد سيف مصنوع باليمن .

obeikandl.com

وَكَفًّا إذا جالَتْ على الطِّرْسِ جَوْلَةً * تَمايَلَ إعْجابًا بها البَلَدان (١)

أَشادَتْ بِذِكْرِ الرّاشِدِينَ كأنّما * فَتَى (القُدْسِ) مِمّا يُنْبِتُ الحَرَمان (٢)

سَأَلْتُ حُماةَ النَّثْرِ عَدَّ خِلالِه * فمالى بما أَعْيَا القَرِيضَ يَدان (٣)

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينهما فى مدرسة القصر العينى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

لا مَرْحَبًا بكَ أيُّهذا العامُ * لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلأُساةِ ذِمام (٥)

فى مُسْتَهَلِّكَ رُعْتَنا بمآتمٍ * للنافِعِينَ مِنَ الرِّجالِ تُقام

عَلَمانِ مِنْ أعْلامِ (مِصْرَ) طَواهُما * فِيكَ الرَّدَى فبكَتْهُما (الأَهْرام)

غَيَّبْتَ (شُكْرِى) وهو نابِهُ عَصْرِه * وأَصَبْتَ (إبراهِيمَ) وهو إمام

---

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد «بالراشدين» : خلفاء الإسلام ، و «فتى القدس» : الفقيد . والحرمان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم فى كتبه ، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور ابراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب فى مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف فى أوربا والشتاء فى مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو فى أوربا دون عودته الى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيدا عنه إلى أن توفى فى ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيبا خاصا بأمراض النساء ، وله فى هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه فى مدرسة الطب . وكانت ولادته فى نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته فى مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ؛ الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النِّيلِ فِى عَهْدَيْهِمَا * والطِّبُّ نَبْتٌ لَمْ يَجُدْهُ غَمَامُ (١)

والنَّاسُ بالغَرْبِىِّ فى تَطْبِيبِه * وَلِعُوا على بُعْدِ المَزَارِ وهاموا

حتى أَنْبَرَى (شُكْرِى) فَأَثْبَتَ سَبْقَه * أنّ ٱبنَ (مِصْرَ) مُجَرِّبٌ مِقْدَام

وأَقَامَ (إبراهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أنّ العَرِينَ يَحُلُّه ضِرْغَام (٢)

وتَرَسَّمَ المُتَعَلِّمُون خُطاهُما * فَٱنْشَقَّ مِنْ عَلَمَيْهِما أَعْلام (٣)

قد أَقْسَمُوا للطِّبِّ أنْ يَسْمُوا به * فوق السِّماكِ فَبَرَّتِ الأَقْسام (٤)

وغَدَتْ رُبُوعُ الطِّبِّ تَحْكى جَنَّةً * فيها (لُقْمانُ) الحَكِيم مقام

ورأَى عَلِيلُ النيلِ أَنّ أُساتَه * بَذُّوا الأُساةَ فلَمْ يَرُعْهُ سَقام (٥)

يا (مِصْرُ) حَسْبُكِ ما بَلَغْتِ مِنَ المُنَى * صَدَقَ الرَّجاءُ وصَحَّت الأَحْلام

ومَشَى بَنُوكِ كما اشْتَهَيْتِ إلى العُلا * وعلى الوَلاءِ ـ كما عَلِمْتِ ـ أَقاموا

ومَدَدْتِ صَوْتَكِ بَعْدَ طُولِ خُفُوته * فَدَعَا بعافِيَةٍ لكِ الإِسْلام

ورَفَعْتِ رَأْسَكِ عند مُفْتَخَرِ النُّهَى * بين المَمالِكِ حيثُ تُحْنَى الهام (٦)

كم فيكِ جَرَّاحٍ كأَنَّ يَمِينَهُ * عند الجراحَةِ بَلْسَمٌ وسَلام (٧)

---

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فانشق من علميهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالها فى النبوغ . (٤) السماك : اسم لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم فى الطب . (٦) الهام : الرءوس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جر تمييز « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

* كم بجود مقرف نال العلى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

قد صيغ مِبْضَعُه وإنْ أجرى دَمًا (١) * مِنْ رَحْمَةٍ بجَريحِه بَسّام

ومُوَفِّقٍ جَمِّ الصَّوابِ اذا ٱلْتَوَى * داءُ العَلِيلِ وحارَت الأفْهام

يُلْقِي بسَمْعٍ لا يَخُونُ اذا هَفَتْ (٢) * أُذُنٌ وخانَ المِسْمَعَيْنِ صِمام

واذا عُضالُ الدّاء أبْهَمَ أمْرُه (٣) * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيبِه الإبْهام

يَسْتَنْطِقُ الآلامَ وهي دَفِينَةٌ * خَرْساءُ حتّى تَنْطِق الآلام

كم سَلَّ مِنْ أيْدِي المَنايَا أنْفُسًا (٤) * وثَنَى عِنانَ المَوْتِ وهْو زُؤام

ومطَبِّبٍ للعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُه (٥) * نُورًا اذا غَشّى العُيُونَ قَتام

وكأنّ إثْمِدَه ضِياءُ دَرَّه (٦) * (عِيسَى بنُ مَرْيَمَ) فانْجَلَى الإظْلام

ومُطَبِّبٍ للطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ له (٧) * سِنٌّ ولَمْ يَدْرُجْ إليه فِطام

يَشْكُو السَّقامَ بناظِرَيْه ومالَه * غيرُ التَّفَزُّزِ والأنِينِ كَلام

فكَمِ ٱسْتَشَفَّ وكَمْ أصابَ كأنّما (٨) * في نَظْرَتَيْه الوَحْيُ والإلْهام

ومُوَلِّدٍ عَرَفَ الأجِنَّةُ فَضْلَه * إنْ أعْسَرَتْ بِوِلادِها الأرْحام

كم قد أنارَ لها بحالِكَةِ ٱلحَشا * سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكَها الأوْهام

---

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يلمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكنى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذى تكحل به العين . والقتام : الظلام .

(٦) الإثمد : الكحل . ويشير « بعيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمه . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) .

(٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير فى (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

لـولا يَـداهُ سَـطَا على أَبْدانِهـا * كَرْبُ المَخـاضِ وشَـفّها الإيلامُ

فبهـؤلاءِ الغُرِّ يا (مِصْـر) آهنَـئِي * فبِمِثْلِهِـمْ تَتَفَاخَـرُ الأَيّام

وعـلى طَبِيبَيْـكِ اللَّذَيْن رَماهُمـا * رامِي المَنُـونِ تَحِيّـةٌ وسَـلام

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى (٢)

أنشـدها عنـد دفنـه

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيَدْرِى ٱلْمُسْـلِمُونَ بِمَنْ أُصِـيبُوا * وقـد وارَوْا (سَـلِيمًا) فى التُّرابِ

هَوَى رُكْنُ الحَـدِيثِ فأىُّ قُطْبٍ (٣) * لطُـلّابِ الحَقِيقَـةِ والصَّـوابِ

(مُوَطَّأَ مالِكٍ) عَزِّ (البُخارِى) (٤) * ودَعْ لِلّهِ تَعْـزِيَةَ (الكِتَاب)

فمـا فى النّاطِقِينَ فَـمٌ يُوَفِّى * عَزاءَ الدِّينِ فى هٰـذا المُصـاب

قَضَى الشيخُ المُحَـدِّثُ وهْوَ يُمْـلِى (٥) * على طُـلّابِهِ فَصْـلَ الخِطـاب

---

(١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٢٤٨ هـ فى محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعلمه فى الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا فى مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله فى سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيد مشهورا بتبحره فى علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس فى الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخارى» : كتاب الجامع الصحيح الذى وضعه الإمام البخارى محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التى كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها . (٥) قضى : مات .

obeikandl.com

ولَمْ تَنْقُصْ له التَّسْعُونَ عَزْماً * ولا صَدَّتْه عَنْ دَرْكِ الطِّلابِ (١)

وما غَالَتْ قَرِيحَتَه اللَّيالِي * ولا خَانَتْه ذاكِرَةُ الشَّبابِ

أَشَيْخَ المُسْلِمِين نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ

لَقَد سَبَقَتْ لَكَ الحُسْنَى فَطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ

إذا أَلْقَى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلجَوابِ (٢)

ونادَى العَدْلُ والإحْسانُ إنّا * نُزَكِّي ما يَقُولُ ولا نُحابِي (٣)

قِفُوا يا أيُّها العُلَماءُ وابْكُوا * وَرُدُّوا لَحْدَه قَبْلَ الحِسابِ

فَهٰذا يَوْمُنا ولَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذاتِ الخِضابِ (٤)

عليكَ تَحِيَّةُ الإسْلامِ وَقْفاً * وأَهْلِيه إلى يَوْمِ المَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (٥)

[نشرت فى أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

ذُكَّ ما بَيْنَ صُحْوَةٍ وعَشِيٍّ * شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)

وهَوَى عن سَماوَةِ العَرْشِ مَلْكٌ * لَمْ يُمَتَّعْ بِعَهْدِه الذَّهَبِيِّ (٧)

---

(١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة .

(٢) يريد «بالملق» : الملك الذى يتولى حساب الميت على ما عمل .

(٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان الى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر .

(٤) ذات الخضاب : المرأة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول .

(٦) ذك : هدم . وآل على ، أى آل محمد على جدّ الأسرة المالكة .

(٧) يريد «بسماوة العرش» : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة فى الملك (بكسرها) .

قـد تَساءَلْتُ يومَ ماتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَـدْنا بفَقْـدِه كلَّ شيٍّ؟

أمْ تَرَى يُسْـعِدُ الكِنانَةَ بارِيـ * ـها ويَقْضِى لها بلُطْفٍ خَفِى؟

لَمْ تَكَدْ تُدْرِكُ النفوسُ مُرادًا * فى زَمانٍ المتوَّجِ العَـلَوِى

لَمْ تَكَدْ تَبْلُغ البِـلادُ مُناها * تحتَ أَفْيَاءِ عَـدْلِه الكِسْرَوِى (١)

لَمْ يَكَدْ يَنْعَـمُ الفَقِيرُ بعَيْشٍ * مِنْ نَداهُ وفَيْضِـه الحـاتِمِى (٢)

حَجَبَ المَوْتُ مَطْلَعَ الجُودِ يا (مِصْـ * ـرُ) فجُـودِى له بدَمْـعٍ سَخِى

ومَضَى واهِبُ الأُلُوفِ فـوَلَّتْ * يـومَ وَلَّى بَشاشـةُ الأَرْيَحِى (٣)

وقَضَى كافِلُ اليَتامَى فَـوَيْلٌ * لليَتـامَى مِنَ الزَّمانِ العَـتِى (٤)

كم تَمَنَّى لو عاشَ حتَّى يَرانَا * أمَّـةً ذاتَ مَنْعَـةٍ ورُقِى

غالَه الضَّعْفُ حينَ شَمَّـرَ للإصْـ * ـلاحِ فى مُلْكِه بعَـزْمٍ فَـتِى

حَبَسَ الخَطْبُ فيـكَ أَلْسِنَةَ القَوْ * لِ وأَعْيَـا قَرِيحَـةَ العَبْقَـرِى

وإذا جَلَّتِ الخُطـوبُ وطَمَّتْ * أَعْجَزَتْ فى القَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِى (٥)

إنَّ شَرَّ المُصـابِ ما أَطْلَقَ الدَّمْـ * ـعَ وراعَ المُفَوَّهِينَ بِـعِى (٦)

---

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل.

(٢) الحاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى المعروف بالجود . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحى : الواسع الخلق الذى يرتاح للمعروف .

(٤) العتى : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطيق . والعى : عدم القدرة على الكلام .

لَهْفَ نَفْسِى على ٱنبِساطِكَ للضَّيْـ * ـفِ وذَيّالِكَ الحَـديث الشَّهِىِّ

يَحْسَبُ الدارَ دارَه وهـو يَمْشِى * فوقَ زاهِى بِساطِكَ الأَحْمَـدِى (١)

خُلُقٌ مِثْلَمـا نَسَـمْتَ أَرِيجَ الـ * ـزَّهْـرِ جادَتْـه زَوْرَةُ الوَسْمِى (٢)

واهتزازٌ للعُرْفِ مِثْـلُ اهتزازِ الـ * ـسَّيْفِ فى قَبْضَـةِ الشُّـجاعِ الكَمِى (٣)

وحَيـاءٌ عنـد العَطِيَّـةِ يَنْـفِى * عَجَـلَ السائِلِ الكَـرِيمِ الأَبِى

واختِبارٌ يَثْنِى عِنانَ العَـوادِى * ووَقارٌ يَزِينُ صَـدْرَ النَّدِى (٤)

رَحِـمَ اللهُ (يا حُسَيْنُ) خِلالًا * فيـكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فى نَفْسٍ حَى

يا كَرِيمًا حَلَلْتَ ساحَ كَرِيمٍ * وضَعِيفًا حَلَلْتَ ساحَ القَوِى

قد كَفاكَ السُّهادُ فى العَيْشِ فَاهْنَأْ * يا أَلِيفَ الضَّنَى بَنَوْمٍ هَنِى (٥)

وَيْحَ (مِصْرٍ) فأَىُّ خَيْـطِ رَجاءٍ * قَطَعَتْه رَنَّاتُ صَـوْتِ النَّـعِى

---

(١) البساط الأحدى ، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) نسمت : شممت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمى : مطر أول الربيع .

(٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمى : الشجاع .

(٤) يثنى عنان العوادى ، أى يصرف حوادث الأيام و يردّها عن قصدها . والندى : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» : الى ما كان يعانيه الفقيد فى آخر أيامه من مرض وأرق .

obeikandi.com

رثاء باحثـــة البـــادية[1]

[نشرت فى ســـنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) النُّهَى لا تَبْعَـدِى * فالخَـلْقُ فى الدنيـا سِـيَرْ

إنِّى أَرَى لَكِ سِـيرَةً[2] * كالرَّوْضِ أَرَّجَهُ الزَّهَـر

رَبَّى أَبُـوكِ النـاشِئِيـ * ـنَ فعاشَ محمـودَ الأَثَرْ

وسَلَكْتِ أَنتِ سَـبِيلَه * فى الناشِئاتِ مِن الصِّغَر

رَبَّيْتِهِنَّ[3] على الفَضِـيـ * ـلةِ والطَّهـارةِ والخَفَـر

وعـلى اتِّبـاعِ شَرِيعَـةٍ * نَزَلَتْ بهـا آىُ السُّـوَر

فلبَيْتِكُمْ فَضْـلٌ عـلى الـ * ـاحيـاءِ أُنْثَى أو ذكَـر

لِلّهِ دَرُّكِ إنْ نَـثَرْ * تِ ودَرُّ (حفْـنِى) إنْ نَـثَر

قـد كنتِ زَوْجًا طَيِّبَةً[4] * فى البَـدْوِ عاشَتْ والحَضَر

---

(١) باحثة البادية ، هى السـيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العـلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات ، بذلت جهـدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفور على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، و إلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أرجه : طيبه . (٣) الخفر : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : «فى البدو الخ» : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطيبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سادَتْ على أَهْلِ القُصُو * رِ وسَوَّدَتْ أَهْلَ الوَبَرْ (١)

غَرِيبَةٌ فى عِلْمِها * مَرْمُوقَةٌ بينَ الأَسَرْ

شَرْقِيَّةٌ فى طَبْعِها * مَحْدُودَةٌ بينَ الحُجَرْ

بَيْنَا تَراهَا فى الطُّرُو * سِ تَخُطُّ آياتِ العِبَرْ (٢)

وتُرِيكَ حِكْمَةَ نابِهٍ * عَرَكَ الحَوادِثَ واختَبَرْ

فإذا بِها فى مَطْبَخٍ * تَطْهُو الطَّعامَ على قَدَرْ (٣)

وإذا بِها قَعَدَتْ تَخِيـ * ـطُ وتَرْتَضِى وَخْزَ الإِبَرْ

فَخَرَتْ بوالِدِها ووا * لِدُها بِحِلْيَتِها افتَخَرْ

بالعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَها * لا باللآلِئِ والدُّرَرْ

فاْنظُرْ شَمائِلَ فِكْرِها * باللهِ يَوْمَ (المُؤْتَمَرْ) (٤)

واقْرَأْ (مُحاضَرَةَ الجَرِيـ * ـدَةِ) والمَقالاتِ الغُرَرْ

وارْجِعْ إلى ما أَوْدَعَتْ * عندَ المَجَلاتِ الكُبَرْ

---

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التى يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولها ، النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثانى ، الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامى المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة فى هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

obeikandi.com

تَعْـــلَمْ بأنّا قـــد فقَـــدْ * نا خَيْرَ رَبّاتِ الفِكَرْ

ذَنْبُ المَنِيّـــةِ فى آغتِيـا * لِ شَـبابِها لا يُغْتَفَـر

يا لَيْتَها عاشَتْ (لِمِصْـ * ـرَ) ولَمْ تُغَيِّبْها الحُفَـر

كانتْ مِثـالاً صالحًـا * يُرْجَى وكَنْزاً يُدَّخَـر

إنّى رَأَيْتُ الجاهِـلا * تِ السّافِراتِ على خَطَر

ورأَيْتُ فيهِنّ الصِّـيا * نَةَ والعَفافَ على سَـفَر

لا وازِعٌ — وقد آنطَوَتْ * (مَلَكٌ) يَقِيهِنّ الضَّرَر (١)

لا كان يَوْمُك يومَ لا * حَ الحُزْنُ مُخْتَلِفَ الصُّوَر

عَلَّمْتِ هاتِفَـةَ القُصـو * رِ نُواحَ هاتِفَـةِ الشَّـجَر (٢)

وتَرَكْتِ أَتْرابَ الصِّـبا * حُزْنًا يُقَطِّعْنَ الشَّـعَر (٣)

يَبْكِينَ عَهْدَكِ فى الصَّبا * حِ وفى المَساءِ وفى السَّحَر

وتَرَكْتِ شَـيْخَكِ لا يَعِى * هَـلْ غابَ زَيْدٌ أو حَضَر (٤)

ثَمِـلًا تُرَنِّحُـهُ الهُمُـو * مُ إذا تَحامَلَ أو خَطَـر (٥)

كالفَـرْعِ هَزَّتْه العَـوا * صِفُ فآلْتَـوَى ثمّ آنكَسَر

---

(١) الوازع : الزاجر. (٢) يريد «بهاتفة القصور» : الباكية من النساء، و «بهاتفة الشجر» : النائحة من الطير. (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها. ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... الخ الى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية، وذلك لأن مدار الأمثلة فى النحو على «زيد».

(٥) ترنحه : تميله هنا وهنا.

obeikandl.com

أو كالبناءِ يُريدُ أنْ * يَنْقَضَّ مِنْ وَقْعِ الْخُطُوْرْ (١)

قد زَعْزَعَتْهُ يَدُ القضا * ءِ وزَلْزَلَتْه يَدُ الْقَدَرْ

أنا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ البَنِيـ * ـنَ ولا البَناتِ على الْكِبَرْ

لٰكِنَّنِي لَمّا رأَيْـ * ـتُ فؤادَه وقد انْفَطَرْ (٢)

ورأيْتُه قد كادَ يُحْـ * ـرِقُ زائِريهِ إذا زَفَرْ

وشَهِدْتُه أنّى خَطَا * خَطْوًا تَخَبَّلَ أو عَثَرْ

أَدْرَكْتُ مَعْنَى الحُزْنِ حُزْ * نِ الوالِدَيْنِ ، فما أَمَرّ

وشَهِدْتُ زَوْجَكِ مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بين السَّمَرْ (٣)

كالمُدْلِجِ الحَيْرانِ فى الـ * ـبَيْداءِ أَخْطَأَهُ القَمَرْ (٤)

فعَلِمْتُ أنّكِ كنتِ عِقْـ * ـدَ هَنائِه وقد انْتَثَرْ

صَبْرًا أبا (مَلَكٍ) فإنّ * الباقِياتِ لِمَنْ صَبَرْ

وبقَدْرِ صَبْرِ المُبْتَلَى * طُولُ المُصِيبةِ والقِصَرْ

كُنْ أنتَ أنتَ إذا تُسا * ءُ كأنتَ أنتَ إذا تُسَرّ

يا بَرَّةً بالوالِدَيْـ * ـنِ أَبُوكِ بَعْدَكِ لا يَقَرّ

فَسَلِي إلٰهَكِ سُلْوَةً * لأَبِيكِ فهْوَ به أَبَرّ

ولْيَهْنِكِ الخُلْدُ الجَدِيـ * ـدُ فذاكَ دارُ المُسْتَقَرّ

---

(١) من وقع الطور، أى من وقوع الضعف به .
(٢) انفطر : انشق .
(٣) السمر : مجلس السمار بالليل .
(٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فـــريد بك (١)

[فى سـنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نحنُ فِيـه مَنْ لِغَـدْ * ماتَ ذُو العَزْمَةِ والرَّأْيِ الأَسَدّْ (٢)

حَلَّ (بالجُمْعـةِ) حُزْنٌ وأَسًى * ومَشَى الوَجْدُ الى يومِ (الأَحَد) (٣)

وبَدَا شِـعْرِى على قِرْطاسِـهِ * لَوْعةً سالَتْ على دَمْعٍ جَمَـد

أيُّهـا النِّيلُ لقـد جَلَّ الأَسَى * كُنْ مِدادًا لى إذا الدَّمْعُ نَفِـد

واذْبُلِى يا زَهْـرَةَ الرَّوْضِ ولا * تَبْسِمِى للطَّـلِّ فالعَيْشُ نَكِد (٤)

والزَمِ النَّـوْحَ أيا طَـيْرُ ولا * تَبْتَهِجْ بالشَّـدْوِ فالشَّدْوُ حَدَد (٥)

---

(١) المرحوم محمـد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينـة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو سـنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العموميـة ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقـد أنعم عليه بالرتبة الثانيـة فى أغسطس سـنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيـد اسمه فى جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية فى أول يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمـل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للمرحوم مصطفى كامـل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوربا ، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفى فى برلين عاصمة المانيا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسدّ : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكنى « بيومى الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

obeikandi.com

فلقد وَلَّى (فريدٌ) وانطوى * ركنُ (مصرٍ) وفتاها والسَّنَدْ

خالدَ الآثارِ لا تَخْشَ البِلَى * ليس يَبْلَى مَنْ له ذِكْرٌ خَلَدْ

زُرْتَ (برلينَ) فنادى سَمْتُها : * نَزَلَتْ شمسُ الضُّحَى بُرْجَ الأسَدْ (١)

واختفتْ شَمْسُكَ فيها وكذا * تَخْتَفِي فى الغَرْبِ أقمارُ الأبَدْ

يا غريبَ الدارِ والقبرُ ويا * سُلْوَةَ (النِّيلِ) اذا ما الحَطْبُ جَدّ

وحُساماً فَلَّ حَدَّيْهِ الرَّدَى * وشهاباً ضاءَ وَهْناً وخَمَدْ (٢)

قُلْ لصَبِّ (النِّيلِ) إنْ لاقَيْتَه * فى جِوارِ الدّائمِ الفَرْدِ الصَّمَدْ (٣)

إنّ (مِصْرًا) لا تَنِى عنْ قَصْدِها * رَغْمَ ما تَلْقَى وإنْ طالَ الأَمَدْ

جئتُ عنها أحْمِلُ البُشْرَى إلى * أوّلِ البانِينَ فى هذا البَلَدْ

فاسترِحْ واهنأْ ونَمْ فى غِبْطَةٍ * قد بَذَرْتَ الحَبَّ والشَّعْبُ حَصَدْ

آثَرَ (النِّيلَ) على أمْوالِهِ * وقُواهُ وهَواهُ والوَلَدْ (٤)

يَطْلُبُ الخيرَ (لمصرٍ) وهْوَ فى * شِقْوَةٍ أحْلَى مِنَ العيشِ الرَّغَدْ (٥)

---

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوّة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوّة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثانى ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس فى برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .

(٢) فل حدّيه : ثلمهما . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صبّ النيل : عاشقه . ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا فى سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد فى غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

obeikandl.com

ضَارِبٌ فى الأَرْضِ يَبْغِى مَأْرَبًا (١) * كُلَّمَا قَارَبَه ، عنه ابتَعَدْ

لم يَعِبْه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُه * رُبَّ جِدٍّ حادَ عن مَجْراه جَدّ

يَسْتَجِمُّ العَزْمَ حتّى إنْ بَدَتْ (٢) * فُرصةٌ شَدَّ اليها وصَمَد (٣)

فهو لا يَثْنِى عِنانا عن مُنًى * وهو هِجِّيراهُ (مَنْ جَدَّ وَجَد) (٤)

فَأَيادِيه إذا ما أُنْكِرَتْ (٥) * إنّما تُنْكِرُهَا عَيْنُ الحَسَد

فَقَدَتْ (مِصْرُ فَريدا) وهى فى * مَوْطِنٍ يُعْوِزُها فيه المَدَد

فَقَدَتْ (مصرُ فَريدا) وهى فى (٦) * لَهْوَةِ المَيْدانِ والموتُ رَصَد

فَقَدَتْ منه خَبيرا حُوَّلًا (٧) * وهى والأيّامُ فى أَخْذٍ وَرَدّ

لم يَكِدْ يُمْتِعُها الدَّهْرُ به * فى رُبُوعِ (النِّيل) حَيًّا لم يَكِد

لَيْتَه عاشَ قليلا فَتَرى (٨) * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُه كيف اتَّحَد

وَيْحَ (مِصرٍ) بَلْ فَوَيْحًا للثَّرَى * إنّه أَبْلَغُ حُزْنًا وأَشَدّ

كَم تَمَنَّى وتَمَنَّى أَهْلُه (٩) * لو يُوارَى فيه ذَيّاكَ الجَسَد

---

(١) ضرب فى الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى لأستجم قلبى بشىء من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبى يتفكه بشىء من اللهو ليستجمع قوته . وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر فى ميدان الجهاد بلهوة الرحى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلق فى فمها للطحن .

(٧) الحوّل : الحاذق البصير بتحويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر وقبطها فى سنة ١٩١٩ م ، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

obeikandl.com

لَهْفَ نَفْسِي هل (بِبَرْلِينَ) ٱمْرُؤٌ * فوق ذَاك القَبْرِ صَلَّى وسَجَدْ؟
هل بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَّتْ تُرْبَه * هل عَلَى أَحْجَارِه خَطَّ أَحَدْ؟ (١)
هاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فى هَوَى * أُمَّةٍ أَيْقَظَهَا ، ثُمَّ رَقَدْ

رثاء عبد الله أباظه بك (٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره فى سنة ١٩١٩ م]

يا عابِدَ اللهِ نَمْ فى القَبْرِ مُغْتَبِطًا * ما كنتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ العَرْشِ باللّاهِى
يا رحمَةَ اللهِ هٰذا قَبرُه فقِفِى * وآنِسِى رُوحَه يا رَحْمَةَ اللهِ

رثاء عبد الحميد رمزى

قالها على لسان ابراهيم رمزى بك فى حفل تأبين ابنه عبد الحميد ، وكان طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم يقو أبوه على الكلام فى هذا الحفل ، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت فى ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِى ، قد طالَ سُهْدِى ونَحِيبِى * جِئْتُ أَدْعُوكَ فهَلْ أَنْتَ مُجِيبِى؟
جِئْتُ أَرْوِى بدُمُوعِى مَضْجَعًا * فيه أَوْدَعْتُ مِن الدُّنيا نَصِيبِى

---

(١) خط أحد ، أى كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتى بعده .

(٢) عبد الله أباظه بك ، هو ابن السيد أباظه باشا ، كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتقلد عدة مناصب ، وتوفى فى سنة ١٩١٩ م .

لا تَخَفْ مِنْ وَحْشَـةِ القَـبْرِ ولا * تَبْتَئِسْ إنِّى مُـوافٍ عَنْ قَـرِيبِ

أَنَا لا أَتْـرُكُ شِـبْلِى وَحْـدَه (١) * فى جَدِيبٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيبِ

أَوْحِيَنْ آبْـتَزَّ دَهْرِى قُوَّتِى (٢) * وذَوَى عُـودِى ووافَانِى مَشِـيبِى

وٱكْتَسَى غُصْـنُكَ مِنْ أَوْرَاقِه * تَحْتَ شَمْسِ العِزِّ والجَاهِ الخَصِيبِ

ورَجَـوْنا فِيـكَ ما لَمْ يَرْجُـهُ * مُنْجِبُ الأَشْبالِ فى الشِّبْلِ النجيبِ

يَنْتَوِيكَ المَوْتُ فى شَرْخِ الصِّبا (٣) * والشَّبابِ الغَضِّ فى البُرْدِ القَشِيبِ

لم يَدَعْ آسِـيكَ جُهْـدًا إنَّمـا (٤) * غابَ عِلْمُ اللهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

إيهِ يا (عَبْدَ الحَمِيـد) انْظُـرْ إلى (٥) * والدٍ جَـمِّ الأَسَى بادِى الشُّحُوبِ

ذاهِـلٍ مِنْ فَرْطِ ما حَـلَّ به * بَيْنَ أَتْرابِكَ يَمْشِى كالغَرِيبِ

كُلَّمـا أَبْصَرَ منهـم واحِـدًا * هَزَّهُ الشَـوْقُ إلى وَجْهِ الحَبِيبِ

يَسْأَلُ الأَغْصانَ فى إزْهارِها * عن أَخِيهـا ذٰلِكَ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

يَسْأَلُ الأَقْمَارَ فى إشْـراقِهـا (٦) * عن مُحَيًّـا غابَ مِنْ قَبْـلِ المَغِيبِ

غَمَـرَ الحُزْنُ نَواحِى نَفْسِـه (٧) * وأَذابَتْ لُبَّـه سُـودُ ٱلْخُطُـوبِ

فهـو لا يَنْفَعُه العَيْشُ وهَـلْ * تَصْـلُحُ الأَبْدانُ مِنْ غَيْرِ قُـلُوبِ؟

---

(١) الشبل : ولد الأسد . و يعنى «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذوى عوده : ذبل وجف . (٣) ينتويك : يقصدك . وشرخ الصبا : ريعانه . والقشيب : الجديد

(٤) الآسى : الطبيب . (٥) الأسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .

(٦) محيا الإنسان : وجهه (٧) غمر الحزن نواحى نفسه ، أى شملها .

طَالِعِي يا شَمْسُ قَبْرًا ضَمَّهُ * بالثَّنايا فى شُرُوقٍ وغُرُوبِ

وآسُكُنِي يا رَحْمَةَ اللهِ بِهِ * واجْعَلِي فَيْضَكِ مُنْهَلَّ السُّكُوبِ

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت فى ٨ يوليه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللهُ قد أَسْرَعْتَ فى السَّيْرِ قَبْلَنَا * وآثَرْتَ يا "مِصْرِىُّ" سُكْنَى المَقابِرِ

وقد كنتَ فِينا يافَتَى الشِّعْرِ زَهْرَةً * تَفَتَّحُ للأَذْهانِ قَبْلَ النَّواظِرِ

فَلَهْفِي على تلْكَ الأَنامِلِ فى البِلَى * فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ البِلَى مِنْ مَفاخِرِ

ويا وَيْحَ للأَشْعارِ بَعْدَ نَجِيِّها (١) * ووَيْحَ القَوافى ساقَها غيرُ شاعِرِ

تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْياكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا * وذاكَ لَعَمْرِى نِعْمَ زادُ المُسافِرِ

وأَوْرَثْتَنا حُزْنًا عليكَ وحَسْرَةً * على فَقْدِ سَبَّاقٍ كَرِيمِ المَحاضِرِ (٢)

فَلَمْ تَثْوِ يا (عَبْدَ الحَلِيمِ) بحُفْرَةٍ * ولكنْ بِرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ ناضِرِ (٣)

فَدِيوانُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيكَ طِيبُهُ * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجَوْدِ المَواطِرِ (٤)

فسامِرْ (أَبا بَكْرٍ) هُناكَ فإنَّهُ * سَيَظْفَرُ فى عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسامِرِ (٥)

---

(١) نجيها، أى من يناجيها . (٢) المحاضر: المجالس . (٣) ثوى بالمنزل: أقام به . (٤) الزهر المطلول: المبلل بالطل . والجود: المطر الكثير . والمواطر: السحب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها:

أفضى أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعانيا

هَنِيئًا لَك الدارُ التّى قـد حَلَلْتَهـا * وأَعْظِـمْ بِمَنْ جاوَرْتَه مِنْ مُجـاوِرِ
عليـكَ سَـلامٌ ما تَرَنَّمَ مُنْشِـدٌ (١) * وقامَ خَطِيبٌ فَـوْقَ هامِ ٱلمَنـابِرِ

ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية فى يوم الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفنى ناصف بك

آذَنَتْ شَمْسُ حَيـاتِى بِمَغِيـبِ (٣) * ودَنَا المَنْهَـلُ يا نَفْسُ فَطِيـبِى
إنّ مَنْ سارَ إليـه سَـيْرَنا (٤) * وَرَدَ الراحةَ مِنْ بَعْـدِ اللُّغُوب
قـد مَضَى (حفْنى) وهٰـذا يَوْمُنا (٥) * يَتَـدانَى فٱسْـتَثِيبى وأَنِيـبى
وٱرْقُبِيـهِ كُـلَّ يَـوْمٍ إنّمـا * نحنُ فى قَبْضَةِ عَلّامِ الغُيُوب
أُذْكُرِى المـوتَ لَدَى النَّوْمِ ولا * تُغْفِـلِى ذِكْرَتَه عنـد الهُبُـوب
وٱذكُرِى الوَحْشَةَ فى القَبْرِ فلا * مُؤْنِسٌ فيه سِوَى تَقْوَى القُلُوب
قَدِّمِى الخَيْرَ ٱحتِسـاباً فكَفَى * بعضُ ما قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوب
راعَـنِى فَقْـدُ شَـبابِى وأنَا * لا أُراعُ اليَـوْمَ مِنْ فَقْـدِ مَشِيبى
حَنَّ جَنْبـاىَ الى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَـدُوٍّ وحَبِيب

(١) هام المنابر: رءوسها ؛ الواحدة هامة . (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول .
(٣) آذنه بالأمر : أعلمه بقربه . والمنهل : المورد ؛ يريد به الموت . (٤) اللغوب : التعب .
(٥) استثيبى : اطلبى الثواب من الله . وأنيبى : ارجعى اليه بالطاعة .

obeikandi.com

مَضْجَعٌ لا يَشْتَكِي صاحبُه * شِدَّةَ الدَّهْرِ ولا شَدَّ الخُطُوبِ (١)

لا ولا يُسْئِمُه ذاك الذى * يُسْئِمُ الأَحْياءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ (٢)

قد وَقَفْنا سِتَّةً نَبْكِي على * عالِمِ المَشْرِقِ فى يَوْمٍ عَصِيبِ (٣)

وَقَفَ الخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هَكذا قَبْلِي وإِنِّى عَنْ قَرِيبِ

وَرَدُوا الحَوْضَ تِباعًا فقَضَوْا * بِٱتِّفاقٍ فى مَنايَاهُمْ عَجِيبِ

أَنا مُذْ بانُوا ووَلَّى عَهْدُهُمْ * حاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ (٤)

هَدَأَتْ نِيرانُ حُزْنِى هُدْأَةً * وٱنطَوَى (حفْنِى) فعادَتْ للشُّبُوبِ

فتَذَكَّرْتُ به يومَ ٱنْطَوَى * صادِقُ العَزْمَةِ كَشَّافُ الكُرُوبِ (٥)

---

(١) شدة الخطوب ، أى حملها عليه . (٢) يريد «بالرتيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة ، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء ، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن عاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفنى ناصف بك ، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف ، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعدد آثار الإمام وننـدب

وقفنا بترتيب وقد دب بيننا * ممات على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوة ولى وقفاه عاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

فلبى وغابت بعده شمس قاسم * وعما قليل نجم محياى يغرب

فلا تخش هلكا ما حييت وأن أمت * فما أنت الا خائف تترقب

فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف * ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب

وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك . (٤) بانوا : بعدوا .

(٥) يريد «بصادق العزمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

يومَ كفّناه فى آمالِنا * وذَكَرْنا عِنْدَه قولَ (حَبيب) : (١)

عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوه وكذا * تُعْرَفُ الأَقْمارُ مِنْ بَعْدِ المَغيب (٢)

وبِخُمْنا بإمامٍ مُصْلِحٍ * عامِرِ القَلْبِ وأَوّابٍ مُنيب (٣)

كمْ له من باقِياتٍ فى الهُدَى * والنَّدَى بين شُرُوقٍ وغُرُوب

يَبْذُلُ المَعْرُوف فى السِّرِّ كما * يَرْقُبُ العاشِقُ إغْفاءَ الرَّقيب (٤)

يُحْسِنُ الظَّنَّ به أعداؤه * حِينَ لا يَحْسُنُ ظَنٌّ بقَريب

تَنْزِلُ الأَضْيافُ منه والمُنَى * والخِلالُ الغُرُّ فى مَرْعًى خَصيب

قد مَضَتْ عَشْرٌ وسَبْعٌ والنُّهَى * فى ذُبُولٍ والأَمانِى فى نُضُوب (٥)

تَرْقُبُ الأُفْقَ فلا يَبْدُو به * لامِعٌ مِنْ نُورِ هادٍ مُسْتَثيب (٦)

ونُنادِى كلَّ مَأْمُولٍ وما * غيرُ أَصْداءِ المُنادِى مِنْ مُجيب

دَوِىَ الجُرْحُ ولَمْ يُقْدَرْ له * بَعْدَ ثاوِى (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبيب (٧)

أَجْدَبَ العِلْمُ وأَمْسَى بَعْدَه * رائِدُ العِرْفانِ فى وادٍ جَديب (٨)

---

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائى ، المكنّى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد فى شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبى ربعى :

قد علمت مارزئت إنما * يعرف فقد الشمس عند المغيب

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ فى البيت الذى قبله .

(٣) الأوّاب : كثير الرجوع إلى الله . والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع .

(٤) الإغفاء : النوم .

(٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستثيب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع .

(٧) دوى : صار ذا داء . والثاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيد ، وهى ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة .

(٨) الرائد : الطالب .

رَحْمَةُ الدِّينِ عليه كلَّما * خَرَجَ التفسيرُ عن طَوْقِ الأَرِيبِ (١)

رَحْمَةُ الرأْيِ عليه كلَّما * طاشَ سَهْمُ الرأْيِ فى كَفِّ المُصِيبِ

رَحْمَةُ الفَهْمِ عليه كلَّما * دَقَّت الأَشْياءُ عن ذِهْنِ اللَّبِيبِ

رَحْمَةُ الحِلْمِ عليه كلَّما * ضاقَ بالحِدْثانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ

ليسَ فى مَيْدانِ (مِصْرٍ) فارِسٌ * يَرْكَبُ الأَخْطارَ فى يَوْمِ الرُّكُوبِ

كلَّما شارَفَه مِنّا فَتًى * غالَه المِقْدارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوبِ (٢)

ما تَرَى كيف تَوَلَّى (قاسِمٌ) * وهو فى المَيْعَةِ والبُرْدِ القَشِيبِ (٣)

أُنْسِيَ الأَحْياءُ ذِكْرَى (عَبْدِه) * وهى للمُسْتافِ مِنْ مِسْكٍ وطِيبِ (٤)

إنَّهم لو أنْصَفُوها لبَنَوْا * مَعْهَدًا تَعْتادُه كفُّ الوَهُوبِ (٥)

مَعْهَدًا للدِّينِ يُسْقَى غَرْسُه * مِنْ نَمِيرٍ فاضَ مِنْ ذَاكَ القَلِيبِ (٦)

ونَسِينا ذِكْرَ (حُفْنِى) بَعْدَه * ودَفَنَّا فَضْلَه دَفْنَ الغَرِيبِ

لَمْ تَسِلْ مِنَّا عليه دَمْعَةٌ * وهو أَوْلَى الناسِ بالدَّمْعِ الصَّبِيبِ (٧)

---

(١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميعة الشباب : أوّله . والقشيب : الجديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شمه . (٥) تعتاده ، أى تتعوّد الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل .

(٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصبيب : المنصبّ .

سَكَنَتْ أَنفاسُ (حفْنِي) بَعْـدَ ما * طَيَّبَتْ فى الشَّرْقِ أَنفاسَ الأَدِيبِ (١)

عاشَ خِصْبَ العُمْرِ مَوْفُورَ الحِجَا * صادِقَ العِشْرَةِ مأْمُونَ المَغِيب

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك (٢)

قالها فى الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمَـانِ مِنْ أَعْلامِ مِصْـ * ـرَ عَدَا الرَّدَى فَطواهُمَـا

(حَسَنٌ) و(زُهْدِى) لَمْ يُمَتِّـ * ـعْ بالشَّـبابِ كِلاهُمَـا

سَلَكَا سَبِيلَ الحَـقِّ ما * عاشَـا وما أَوْلاهُمَـا!

دَاسَ الأَثِـيمُ حِمَـاهُما * تَحْتَ الدُّجَى ودَهاهُمَـا

فَرمَى النُّهَى والفَضْلَ مُجْـ * ـتَمِعَيْنِ حِـينَ رَماهُمَـا

إِنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرِّجا * لِ فقَدِّمُوا ذِكْراهُمَـا

أَوْ تَسْـأَلُونِى عَنْ شَهِيـ * ـدَىْ مَبْـدَإٍ فهُمَا هُمَـا

---

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت فى الشرق أنفاس الأديب » : أن أدباء الشرق قد تخرّجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشآتهم وارتفع به أدبهم .

(٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما ، فتوفى اسماعيل بك أوّلا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسى بين الأحزاب .

obeikandl.com

رثاء إسماعيل صبرى باشا (١)

أنشدها فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فى مَوْطِنٍ * كان البُكَا فيه بِنَا أَلْيَقَا

فَأَكْرِمُوا (صَبْرِى) بإنْصَاتِكُمْ * ولْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذا صَفَّقَا

ثم ابتدأ فى إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وحُمَّ القَدَرْ (٢) * ولَمْ يُغْنِ عَنَّا وعَنْكَ الحَذَرْ

طَوَتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدِىّ (٣) * فَلَمْ تَطْوِ إلّا سِجِلَّ العِبَرْ

فأَمْسَيْتَ تُذْكَرُ فى الغَابِرِين (٤) * وإنْ قَلَّ مِثْلُكَ فِيمَنْ غَبَرْ

إذا ذُكِرَتْ سِيَرُ النَّابِهِين * فسِيرَةُ (صَبْرِى) تَجُبُّ السِّيَرْ (٥)

لقد كنتَ بَرًّا بِظِلِّ الشباب * فلمّا تَقَلَّصَ كُنتَ الأَبَرّ (٦)

---

(١) ولد المرحوم اسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر الى أوربا فأتم علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية اكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ فى مرثيته .

(٢) حم القدر : قضى (بالبناء للمجهول فيهما) . ويريد « بالقدر » : الموت .

(٣) يشير الى أن الفقيد توفى بالذبحة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها رحمه الله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٤) الغابرون : الماضون .

(٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه فى النابهين من الرجال .

(٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم فى شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فـلَم تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فى الصِّبا * ولَم تَسْتَبِحْ هَفْـوَةً فى الكِبَرْ

أُهَنِّى الثَّرَى أم أعَزِّى الوَرَى * لقـد فازَ هٰـذا وهٰـذا خَسِر

أَأَوَّلَ يـومٍ لعَهْـدِ الرَّبيـع * تَجِفُّ الرِّياضُ ويَذْوَى الزَّهَر (١) ؟

ويَذْبُلُ زَهْرُ القَريضِ الثَّرِىّ * ويُقْفِرُ رَوْضُ القَوافِى الغُـرَر (٢)

لِيَهْدَأْ (عُمـانُ) فغَوّاصُه * أُصِيبَ وأَمْسَى رَهِـينَ الحُفَر (٣)

فقـد كانَ يَعْتَـادُه دائِبًـا * بَكُورًا رَؤُوحًا لنَهْبِ الدُّرَر (٤)

يَقُـولُ فيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُـور * ويُغْلِى جُمـانَ بَنـاتِ الفِـكَر (٥)

يَسُـوقُ القِصارَ فيَأْبَى العِشـار * وكَم مِنْ مُطِيـلٍ مُمِـلٍّ عَثَر (٦)

قِصـار وحَسْبُ النُّهَى أنّهـا * لهـا مُعْجِزاتُ قِصارِ السُّـوَر

رُحِمْتَ، فقد كنتَ حُلْوَ اللِّسان * جَلِىَّ البَيانِ صَـدُوقَ الخَـبَر

قليـلَ التَّعَجُّبِ جَـمَّ الأَناة * حَكِيمَ الوُرُودِ حَكِيمَ الصَّـدَر (٧)

شَمـائِلُكَ الغُـرُّ هُنَّ الرِّياض * رَوَى عن شَذاها نَسِيمُ السَّحَر (٨)

---

(١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت فى فصل الربيع .

(٢) القريض الثرى : الغنى بمعانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يعتاده دائبا ، أى يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ الواحدة جمانة . ويريد « ببنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التأنى . ويريد « بحكيم الورود ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعاءِ ٱستُجيب (١) * فعافَى وآوَى وأَغْنَى وسَرّْ

إذا ما وَرَدْتَ لها مَنْهَلًا (٢) * وَرَدْتَ نَمِيرًا لَدِيدَ الخَصَر

وفِكْرُكَ فى خِصْبِهِ ثَرْوَةٌ (٣) * لِفِكْرِ الأَدِيبِ إذا ما افْتَقَر

وشِعْرُكَ كالماء فى صَفْوِهِ (٤) * على صَفْحَتَيْهِ تَرَاءَى الصُّوَر

عُيُونُ القصائِدِ مِثْلُ العُيون (٥) * وشِعْرُكَ فيهنّ مِثْلُ الحَوَر

وكم لَكَ شَكْوَى هَوًى أو أَسًى * لها نَفَثاتٌ تُذِيبُ الحَجَر

هَتَفْتَ بها مَرَّةً فى الهَجِير (٦) * فكادَ يَدِبّ إليك الشَّجَر

وكم كنتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى (٧) * بأَنْفاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَر

فيا وَيْحَ قَلْبِكَ ما ذا أَلَمّْ * عليه مِن الدّاء حتّى ٱنفَطَر

أَيَخْفِقُ تحتَ الدُّجَى وَحْدَه * لِذِكْرَى أَلِيفٍ سَلا أو هَجَر (٨)

---

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمير : الماء الناجع فى الرى . وخضر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدّون من معانيه إذا أعوزتهم المعانى .

(٤) تراءى ، تتراءى ، أى تبين وتظهر .

(٥) عيون القصائد : نفائسها وكرائمها . والحور فى العين : اشتداد البياض والسواد فى بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدّة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للمرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يا سرحة بجوار الماء ناضرة * سقاك دمعى اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فتك الهجير بمثلى فى نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيد فى النسيب والشوق ، وهى من أنفس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيد يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا * حمل الصبابة فٱخفق وحدك الآنا

إذا قيلَ (صَبْرِى) ذَكَرْتُ (الوَلِيد) (١) * ومَرَّتْ بنَفْسِى ذِكْرَى (عُمَرْ)

يَزِينُ تَواضُعُه نَفْسَـــه * كما زانَ حُسْنَ الملاحِ الخَفَرْ (٢)

زَكِىُّ المَشاعِرِ عَفُّ الهَوَى * شَهِىُّ الأَحادِيثِ حُلْوُ السَّمَرْ (٣)

لقد كنتُ أَغْشَاهُ فى دارِه * ونادِيهِ فيها زَهاً وازْدَهَـــرْ

وأَعْرِضُ شِعْرِى على مَسْمَعٍ * لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُـــوَّ الـــوَتَرْ (٤)

على سَمْعٍ باقِعَـــةٍ حاضِـــرٍ * يَمِيزُ القَدِيمَ مِنَ المُبْتَكَرْ (٥)

فيَصْقُلُ لَفْظِىَ صَقْلَ الجُمانْ * ويَكْسُوه رِقَّةَ أَهْـلِ الحَضَرْ (٦)

يُرَقْرِقُ فيـــه عَبِيرَ الجِنـــانْ * فتَسْتافُ منـــه النُّهَى والفِكَرْ (٧)

كذلك كان ــ عليه السَّلام ــ * إماماً لكلِّ أَدِيبٍ شَـــعَرْ

فكُنَّا الجَداوِلَ نُرْوِى الظِّماءَ * ظِماءَ العُقُـــولِ وكان النَّهَـــرْ (٨)

زَهِـــدْتَ عـــلى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وجاهٍ أَظَـــلَّ وفَضْـــلٍ بَهَـــرْ (٩)

---

(١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحترى وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحترى و يفضله على غيره من الشعر .

(٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه حبه الى ارتكاب مأثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبو الوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه مانبا من الألفاظ والعبارات ، وند عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .

(٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه و يحسنه .

(٧) العبير : الرائحة الطيبة . وتستاف : تشم . والنهى : العقول .

(٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتد ظله واتسع .

خَلَّفْتَ الشَّبابَ فَلَمْ تَبْكِهِ * وساءَكَ أنَّكَ لَمْ تُحْتَضَرْ (١)

وقد ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَما * أُصِيبَ قِطارُكَ يومَ السَّفَرْ (٢)

فأقْسَمْتَ أنَّكَ أَلْفَيْتَهُ * لَذِيذَ المَذاقَةِ إذْ تُحْتَضَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَ أنْ لَمْ تَعُدْ للحَياةِ * ولكنْ أباها عليكَ القَدَرْ

وكَمْ ساعةٍ بينَ ساعِ الحَياةِ * سَقَتْكَ المُرارَ بكَأْسِ الضَّجَرْ (٤)

فَرُحْتَ الى أُخْتِها شاكِيًا * أَذاتَكَ منها فكانَتْ أَمَرْ (٥)

فَفَتَّشْتَ أثْناءَها جاهِدًا * بعَيْنَيْ بَصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرْ

فَلَمْ تَرَ فيها على طُولِها * هُنَيْهَةَ صَفْوٍ خَلَتْ مِنْ كَدَرْ (٦)

---

(١) احتضر فلان بالبناء للمجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت واللذين بعده الى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقله مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للمجهول) : حضره الموت .

(٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحزان والهموم بمرارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد فى الساعة ، أولها :

كم ساعة آلمنى مسها * وأزعجتنى يدها القاسيه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وكم سقتنى المر أخت لها * فرحت أشكوها إلى التاليه

فأسلمتنى هذه عنوة * لساعة أخرى وبى ما بيه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة أيضا :

فتشت فيها جاهدا لم أجد * هنيهة واحدة صافيه

وما زِلْتَ تَشْكُو الى أَنْ أَتَتْ * كما تَشْتَهِى ساعَةٌ لَمْ تَذَرْ (١)

فلا صَدَّ تَخْشاه بَعْدَ الوِصال * ولا ضَعْفَ تَشْكُوه بَعْدَ الأَشَرْ (٢)

أَرِيحَ فُؤادُكَ مِمَّا ضَناه * وصَدْرُكَ مِمَّا عليه انْكَدَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَها خُطْوَةً لِلْمَمات * تُفَرِّجُ عنكَ كُرُوبَ الغِيَرْ (٤)

وها قَدْ خَطاها ونِلْتَ المُنَى * فهَلْ فى المَماتِ بُلُوغُ الوَطَرْ (٥)

صَدَقْتَ ففِى المَوْتِ نَصْرُ الأَبِىّ * على الدَّهْرِ إنْ هُوَ يَوْماً غَدَرْ

مَلِئْتَ الثَّواءَ بدارِ الزَّوال * فماذا رَأَيْتَ بدارِ المَقَرّ (٦)

أَتَحْتَ الترابِ يُضامُ الكَرِيم * ويَشْقَى الحَلِيمُ ويَخْفَى القَمَرْ؟

ويُهْضَمُ حَقُّ الأَدِيبِ الأَرِيب * ويُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيهِ الأَغَرّ؟ (٧)

أتحتَ التُّرابِ تُساقُ الشُّعوب * بسَوْطِ العُبُودَةِ سَوْقَ البَقَرْ؟

ويُعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ للسَّلام * فَنَخْرُجُ منه إلى مُؤْتَمَرْ؟

---

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيد فى آخر مقطوعة الساعة :

ياشاكى الساعات أسمع عنى * تبيك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر انما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر، أى مما انصبّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى قول الفقيد :

يامـــوت هأنـــذا فخذ * ما أبقت الأيام مـــنى

بينى وبينـــك خطـــوة * إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل القطن .

فإنْ كان ما عِنْدَنا عِنْدَكُمْ * فليسَ لنا مِنْ شَقاء مَفَرّ
خِضَمُّ الحَياةِ بَعِيدُ النَّجاة * فطُوبَى لراكِبِهِ إنْ عَبَرْ[1]
فعُدْ سالِمًا غانِمًا للتّراب * كَرَأْيِكَ فى الموتِ والهَنَأُ وَقَرّ

رثاء سعيد زغلول[2]

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت فى ٢١ يوليه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنتَ أوّل كَوْكَب * فى الغَرْبِ أدْرَكَه المَغِيبْ
فهُناكَ أقْمارُ المَشا * رِقِ قد أُتيحَ لها الغُرُوب
داسَ الحِمامُ عَرِينَ خا * لِكَ، وهو مَرْهُوبٌ مَهِيب[3]
لَمْ يَثْنِهِ عَنْكَ الرَّئِيـ * ـسُ ولا رَمَى عَنْكَ الخُطُوب[4]
يا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيـ * ـدٌ) وهْوَ مِنْ (سَعْدٍ) قَرِيب؟

---

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول فى ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرّج فى مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطانى فى أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا فى محكمة الزقازيق . ولما سئم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه فى جبل طارق ، وصحبه فى سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ؛ وكانت وفاته فى ١٠ يوليه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا الى مصر .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصرى المرحوم سعد زغلول باشا .

obeikandl.com

عَجَـــبًا ! أَتَحْـمِى أُمَّـــةً * وتَخـافُ جانِبَكَ الخُطُوبْ (١)

ويُقَالُ ضَـيْفُكَ وابنُ أُخْـ * ـتِكَ وهْوَ عَنْ (مِصْرٍ) غَرِيب ؟

نُبِّئْتُ أَنَّكَ قـــد بَكَيْـ * ـتَ وهالَكَ اليَوْمُ العَصِيب

واذا بَكَى (سَـعْدٌ) بَكَتْ * لُبكائِه مِنّـا القُـلُوب

يا (آلَ زُغْـــلُولٍ) ذَوَى (٢) * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيب

فَقَـدَتْ به (مِصْرٌ) فَتًى * أَخْلاقُـه مِسْـكٌ وطِيب

يا (آلَ زُغْـــلُولٍ) وَعُو (٣) * دُكُمُ عـلى الجُـلَّى صَلِيب

إِنِّى لأَنْجَـلُ أَنْ أُعَـزِّيَكُمْ (٤) وكُلُّكُمُ أَرِيـــب

شاكِى سِـــلاحِ الصَّبرِ مُمْـ * ـتَحِنٌ لِدُنْيَـاهُ لَبِيب (٥)

خَطْبُ الكِنانَةِ فى فَقِيـ * ـدِكُمُ لِخَطْبِكُمُ يُشِيب (٦)

لَمْ يَبْـــقَ مِنّـا واحِـــدٌ * إلّا لـه مِنْـــه نَصِـيب

---

(١) يلاحظ أن فى هذا الشعر إيطاء، لتكرار لفظ «الخطوب» فى بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر، أى متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «لخطبكم» ... الخ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك[1]

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِيفِ الصِّبَا * لَمْ يَدْرِ ما أَبْدِي وما أُضْمِرُ

أَفْقَدَنِي المَوْتُ بِهِ وافِيًا * لا يَعْرِفُ الخَتْلَ ولا يَغْدِرُ[2]

تَقْرَأُ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ

ثَلاثَةٌ لَمْ تَعْرُ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسانُهُ والذَّيْلُ والمِئْزَرُ[3]

قَدْ كانَ مِثْلاً لأَمْوالِهِ * وكانَ نَهَّاضًا بِمَنْ يَعْثُرُ

أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * ومِنْ صُنُوفِ الجُودِ ما يُفْقِرُ

أُصِيبَ فِيهِ المَجْدُ يَوْمَ انْطَوَى * والعُرْفُ والسائِلُ والمُعْسِرُ[4]

* * *

كُنَّا على عَهْدِ الصِّبا سَبْعَةً * بِمُسْتَطابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْثِرُ

(البابِلِي) صَفْوَةُ فِتْيانِنا * و(ابن المُوَلْحِي) الكاتِبُ الأَشْهَرُ[5]

و(صادِقٌ) خيرُ بَنِي (سَيِّدٍ) * و(بَيْرَمٌ) إِذْ عُودُهُ أَخْضَرُ

وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أُنْسًا لَنا * وأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لا يُنْكَرُ

هُوَ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ * رِجْسٌ ولَمْ يَشْهَدْهُ مُسْتَهْتِرُ[6]

---

(١) محمد سليمان أباظه بك ، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفي سنه ١٩٢٣ م .

(٢) الختل : الخداع . (٣) المئزر: الازار . وعفة المئزر: كناية عن عفة ما تحته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابلي والمولحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

فكم لنا مِنْ مَجْلِسٍ طَيِّبٍ * يَشْتاقُهُ (هارُونُ) أو (جَعْفَرُ)[1]

نَلْعَبُ باللَّفْظِ كما نَشْتَهِى * ونُضْمِرُ المَعْنَى فما يَظْهَرُ

ونُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً * عَنْ غَيْرِنا فى الحُسْنِ لا تَصْدُرُ

ثم ٱنْطَوَى هٰذا وهٰذا وما * يُطْوَى مِن الأيّام لا يُنْشَرُ

كم دَوْحَةٍ أَوْدَى بها عاصِفٌ[2] * والنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ

ذكرى المرحوم محمد أبى شادى بك[3]

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْراكا * كأنّنا قد نَسِينا يومَ مَنْعاكا

إذا سَلَتْ (يا أَبا شَادِى) مُطَوَّقَةٌ[4] * ذِكْرَ الهَدِيلِ فثِقْ أنّا سَلَوْناكا

فى مُهْجَةِ (النِّيلِ) والوادِى وساكِنِه * رَجْعٌ[5] لصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْراكا

قد عِشْتَ فِينا نَمِيرًا[6] طابَ مَوْرِدُه * أَسْمَى سَجايَا الفَتَى أَدْنَى سَجايَاكا

---

(١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وزيره، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) كان المرحوم محمد أبو شادى بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر» وانتخب عضوا فى مجلس النواب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م.

(٤) المطوقة: الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون: ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه.

(٥) رجع الصوت: صداه.

(٦) النمير: الماء الناجع فى الرى. ويريد بقوله «أسمى سجايا»: أن أعلى ما يحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم.

obeikandl.com

فما كأُولاكَ فى بِرٍّ وفى كَرَمٍ * أُولَى كَرِيمٍ ، ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا

قَضِيَّةُ الوَطَنِ المَغْبُونِ ، قد مَلأَتْ * أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عن قَضَايَاكا

أَبْلَيْتَ فيها بَلاءَ المُخْلِصِينَ لها * وكان سَهْمُكَ أَنَّى رِشْتَ فَتَّاكا (١)

أَجْمَلْتَ ما فَصَّلُوه فى قَصَائِدِهِمْ * حتّى لقد نَضَّرُوا بالحَمْدِ مَثْوَاكا (٢)

لَمْ يُبْقِ لى قِيدَ شِبْرٍ صاحِباىَ ولَمْ * يَفْسَحْ لىَ القَوْلَ لا هٰذا ولا ذاكا

يَا مُدمِنَ الذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هٰأَنْتَ فى الخُلْدِ قد جَاوَرْتَ مَوْلاكا

لو لم يَكُنْ لكَ فى دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكِىٍّ) لقد جَمَّلْتَ دُنْيَاكا (٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم تأبين الفقيد فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيهِ يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابَا * كيف يَنْصَبُّ فى النُّفُوسِ انصِبابا؟

بَلِّغِ المَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّبْحِ أَنَّ الرئيسَ وَلَّى وَغَابَا (٤)

وَانْعَ للنَّيِّرَاتِ (سَعْدًا) فَـ (سَعْدٌ) * كان أَمْضَى فى الأرضِ منها شِهابا

قُدَّ يا لَيْلُ مِنْ سَوادِكَ ثَوْبًا * للدَّرارِى وللضُّحَى جِلْبابا (٥)

---

(١) راش السهم يريشه ، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع فى مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « بزكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشراقه . (٥) قدّ : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

أُنسُجِ الحالِكاتِ مِنكَ نِقاباً * وَٱحبُ شمسَ النَّهارِ ذاكَ النِّقابا (١)

قُل لَها : غابَ كوكبُ الأَرْضِ فى الأر * ضِ فغيبى عن السَّماءِ ٱحتجابا

والبَسِينى عليه ثَوْبَ حِدادٍ * وٱجلِسى للعَزاءِ فالحُزْنُ طابَا

أين (سَعْدٌ) ؟ فذاكَ أوّلُ حَفْلٍ * غابَ عَنْ صَدْرِه وعافَ الخِطابا (٢)

لَم يُعَوِّدْ جُنودَه يومَ خَطْبٍ * أنْ يُنادَى فلا يَرُدُّ الجَوابا

عَلَّ أَمْرًا قد عاقَه ، عَلَّ سُقْمًا * قد عَراهُ ، لقد أَطالَ الغِيابا (٣)

أَىْ جُنُودَ الرئيسِ نادُوا جِهارًا * فإذا لَمْ يُجِبْ فشُقُّوا الثِّيابا

إنّها النَّكْبَةُ الّتى كنتُ أَخْشَى * إنّها الساعةُ الّتى كنتُ آبَى (٤)

إنّها اللَّفْظةُ الّتى تَنْسِفُ الأَنْـ * ـفُسَ نَسْفًا وتَفْقِرُ الأَصْلابا (٥)

ماتَ (سَعْدٌ)، لا كنتِ يا (ماتَ سَعْدٌ) * أَسِهامًا مَسْمُومَةً أمْ حِرابا

كيف أَقْصَدْتِ كلَّ حَىٍّ على الأَرْ * ضِ وأَحْدَثْتِ فى الوُجُودِ ٱنقِلابا؟ (٦)

حَسْرَةٌ عندَ أَنَّةٍ عندَ آهٍ * تحتَها زَفْرَةٌ تُذيبُ الصِّلابا (٧)

قُل لِمَنْ باتَ فى (فِلَسْطِينَ) يَبْكِى * إنّ زِلْزالَنا أَجَلُّ مُصَابا (٨)

---

(١) يقال : حباه كذا وبكذا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) عاف الشىء : كرهه وزهد فيه .

(٣) عراه : أصابه . (٤) آبى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة فى البيت التالى . والأصلاب : عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب . وتفقرها ، أى تصيب هذه الفقار فتكسرها . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير الى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ، فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس ، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه .

obeikandi.com

قد دُهيتُمْ فى دُورِكُمْ ودُهينا * فى نُفُوسٍ أَبَيْنَ إلّا احتسابا (١)

فَفَقَدْتُمْ على الحَوادِثِ جَفْنًا * وفَقَدْنَا المُهَنَّدَ القِرْضابا (٢)

سَلَّهُ رَبُّه زَمانًا فأَبْلَى * ثمّ ناداهُ رَبُّه فأَجابا (٣)

قَدَرٌ شاءَ أَنْ يُزَلْزِلَ (مِصْرًا) * فتَغَانَى فزَلْزَلَ الأَلْبابا

طاحَ بالرَّأسِ مِنْ رِجالاتِ (مِصْرٍ) * وتَخَطَّى النُّحُوتَ والأَوْشابا (٤)

والمَقادِيرُ إنْ رَمَتْ لا تُبالِى * أَرُءوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنابا

خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا * قد حَوَى أُمَّةً وبَحْرًا عُبابا

حَمَلُوه على المَدافِعِ لَمّا * أَعْجَزَ الهامَ حَمْلُه والرِّقابا

حالَ لَوْنُ الأَصِيلِ والدَّمْعُ يَجْرِى * شَفَقًا سائِلًا وصُبْحًا مُذابا (٥)

وسَهَا النِّيلُ عَنْ سُراهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الجُموعَ تَبْكِى انْتِحابا

ظَنَّ يا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجانًا * فَرَأَى مَأْتَمًا وحَشْدًا عُجابا

لَمْ تَسُقْ مِثْلَه فَراعِينُ (مِصْرٍ) * يومَ كانوا لأَهْلِها أَرْبابا (٦)

---

(١) احتسابا ، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب واحتسابها له فيما يدخر لها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والنحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التى كانت تجرى دما ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفى لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

خَضَبَ الشَّيْبُ شَيْبَهُـــم بسَـــوادٍ * ومحَـا البِيضُ يومَ مِتَّ الخِضَـابا (١)

واستَهَلَّت سُحْبُ البُكاءِ على الوا * دِى فغَطَّتْ خَضْـــراءَه وآليَبَـابا (٢)

ساقَت (التِّيمِسُ) العَـــزاءَ إليْنـا * وتَوَخَّتْ فِى مَـدْحِكَ الإسْهـابا (٣)

لَم يَنُـــحْ جازِعٌ عليكَ كما نا * حَتْ ولا أَطْنَبَ المُحِبُّ وحابَى

وآعترافُ (التَّامِيزِ) يا (سَعْدُ) مِقْيَـا * سٌ لِمـا نالَ نِيـلَنـا وأَصـابَا (٤)

يا كبيرَ الفُـــؤادِ والنفسِ والآ * مالِ أينَ آعـــتَزَمْتَ عنّـا الذَّهابا؟

كيفَ نَنْسَى مَواقِفًـا لكَ فِينـا * كنتَ فيهـا المَهِيبَ لا آلهَيّـابا؟

كنتَ فى مَيْعَـةِ الشَّـبابِ حُسَـامًا * زادَ صَـقْلًا فِرِنْدُه حِـينَ شَـابا (٥)

لَم يُنـازِلْكَ قارِحُ القَـــوْمِ إلّا * كنتَ أَقْـوَى يَدًا وأَعْلَى جَنـابا (٦)

عِظَـــمٌ لوحَـــواهُ (كِسْرَى أَنُوشر * وانَ) يوما لَضَـاقَ عنـه إهابا (٧)

ومَضـاءٌ يُرِيـــكَ حَـــدَّ قَضـاءِ اللهِ يَفْـــرِى مَتْنًـا ويَحْطِـــمُ نابـــا (٨)

---

(١) يريد أن الشيوخ قـد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحـداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد .

(٢) يقال : استهل المطر، اذا انهل واشتد انصبابه . والبباب : القفر .

(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة .

(٤) التاميز : نهر فى جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيـل : أهليهما .

(٥) ميعة الشـباب : أوله . وفرند السيف : وشيه وجوهره .

(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح فى الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تتم فى خمس سنين .

(٧) كسرى أنو شروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجـلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم .

(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

قد تحدّيتَ قوّةً تملأ المعـ * ـمورَ من هولِ بطشها إرهابا (١)

تملكُ البرَّ والبحارَ وتمشي * فوقَ هامِ الورى وتجبي السحابا (٢)

لم يُنهنهْ من عزمِكَ السجنُ والنفـ * ـيُ وساجلتَها (بمصرَ) الضرابا (٣)

سائلوا (سيشلاً) أأوحشَ خوفًا * وسلوا (طارقًا) أرامَ انسحابا؟ (٤)

عزمةٌ لا يصدُّها عن مداها * ما يصدُّ السيولَ تغشى الهضابا

ليتَ (سعدًا) أقامَ حتى يرانا * كيفَ نُعلي على الأساسِ القبابا

قد كشفنا بهديهِ كلَّ خافٍ * وحسبنا لكلِّ شيءٍ حسابا

حُججُ المُبطلين تمضي سراعًا * مثلما تُطلعُ الكؤوسُ الحبابا

حينَ قال : (انتهيتُ) قُلنا بدأنا * نحملُ العبءَ وحدَنا والصعابا (٥)

فاحجبوا الشمسَ وأحبسوا الروحَ عنّا * وامنعونا طعامَنا والشرابا (٦)

واستشفّوا يقيننا رغمَ ما نلـ * ـقى فهلْ تلمحون فيه ارتيابا؟ (٧)

---

(١) يريد «بالقوة» : قوة الإنجليز . (٢) هام الورى : رءوسهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتجبي السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو اشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة فى الأفق فقال : امطرى حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجبى ثمراته الينا . (٣) لم ينهنه ، أى لم يثنه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية فى المحيط الهندى تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جو سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت؟ فقال : «أنا انتهيت» ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح .

(٧) استشف الشيء : تبينه من وراء حجاب . يقول فى هذا البيت والذى قبله مخاطبا الانجليز : إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا نرتاب فيه ولا يزحزحنا عنه مزحزح .

قـد مَلَكْتُمْ قَـمَ السَّـبِيلِ عَلَيْنـا * وفَتَحْـتُمْ لـكلِّ شَـعْواءَ (١) بابَا

وأَتَيْـتُمْ بالحـائِماتِ (٢) تَـرامَى * تَحْمِـلُ المَوْتَ جائِمًا والخَـرابا

ومَلَأْتُمْ جَـوانِبَ النِّيـلِ وَعْـدًا * ووَعِيـدًا ورَحْمَـةً وعَـذابا

هـل طَفِـرْتُمْ مِنّـا بقَلْبٍ أَبِيٍّ * أو رأَيْـتُمْ مِنّـا إليـكُمْ مَتابا (٣)

لا تَقُـولوا خَـلَا العَـرِينُ ففِيـه * أَلْفُ لَيْثٍ إذا العَرِينُ أَهـابا (٤)

فاجمَعُوا كَيْدَكُمْ ورُوعُوا حِماها (٥) * إنّ عِنـدَ العَرِينِ أُسْـدًا غِضابا

جَـزِعَ الشَّـرْقُ كلُّـه لعَظِـيمٍ * مَـلَأَ الشَّـرْقَ كلَّـه إعْجابَا

عَـلَّمَ (الشامَ) و(العِراقَ) و(نَجْدًا) * كيف يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا

جَمَعَ الحـقَّ كلَّـه فى كِتابٍ * واسْـتَثارَ الأُسُـودَ غابًا فغابا (٦)

ومَشَى يَحْمِـلُ اللِّـواءَ إلى الحَـ * ـقِّ ويَتْـلُو فى النّـاسِ ذاكَ الكِتابا

كلَّما أَسْـدَلُوا عليـه حِجابًا * مِنْ ظَـلامٍ أَزالَ ذاكَ الحِجابا

واقِفٌ فى سَبِيلِهِـمْ أينَ سارُوا * عالِـمٌ بأحْيائِهِمْ أينَ جَابا (٧)

---

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المتاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوّفه . والضمير فى «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها فى نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

obeikandl.com

أىُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذِهْنِ (سَعْدٍ) * أىُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ ٱضْطِرابا؟ (١)

شاعَ فى نَفْسِهِ اليَقينُ فَوَقّا * هُ بِهِ اللّٰهُ عَثْرَةً أَوْ تَبابا (٢)

عَجَزَتْ حِيلَةُ الشِّباكِ وكانَ الـ * ـشَّرْقُ للصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطابا

كُلَّما أَحْكَمُوا بأَرْضِكَ فَخًّا * مِنْ فِخَاخِ الدَّهاءِ خابُوا وخَابا

أو أَطارُوا الحَمامَ يومًا لِزَجْلٍ * قابَلُوا منكَ فى السَّماءِ عُقابا (٣)

تَقْتُلُ الدَّسَّ بالصَّراحَةِ قَتْلًا * وتُسَقِّى مُنافِقَ القَوْمِ صابا (٤)

وتَرَى الصِّدْقَ والصَّراحَةَ دِينًا * لا يَراهُ المُخالِفُونَ صَوابا

تَعْشَقُ الجَوَّ صافِىَ اللَّوْنِ صَحْوًا * والمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضَّبابا (٥)

أنتَ أَوْرَدْتَنا مِنَ الماءِ عَذْبًا * وأَراهُمْ قد أَوْرَدُونا السَّرابا

قد جَمَعْتَ الأَحْزابَ حَوْلَكَ صَفًّا * ونَظَمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوّابا

ومَلَكْتَ الزِّمامَ وٱحتَطْتَ للغَيْـ * ـبِ وأَدْرَكْتَ بالأَناةِ الطِّلابا (٦)

ثمّ خَلَّفْتَ بالكِنانَةِ أَبْطا * لًا كُهُولًا أَعِزَّةً وشَبابا

---

(١) بدق : يغمض ويخفى . والختل : الخداع . ويريغ منه : يريده على الاضطراب والخوف .

(٢) وفاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للرجل » هنا : السعى لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسق (بالتشديد) : تسق (بالتخفيف)، وشدّد للمبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه فى هذا البيت الصراحة فى القول بصحو الجو وصفائه، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التأنى .

قد مَشَى جَمْعُهُمْ إلى المَقْصِدِ الأَسْـ * ـمَى يُغِذُّونَ لِلوُصُولِ الرِّكابا (١)

يَبْتَنُونَ العُلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُون البَنِينَ والأَعْقابا

قد بلَوْناكَ قاضِيًا ووَزِيرًا * ورَئِيسًا ومِدْرَهًا خَلَّابا (٢)

فوَجَدْناكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيـ * ـكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَّابا

لَمْ يَنَلْ حاسِدُوكَ منكَ مُناهُمْ * لا ولَمْ يُلْصِقُوا بعَلْيَاكَ عابَا (٣)

نَمْ هَنِيئًا فقد سَهِدْتَ طَوِيلًا * وسَئِمْتَ السَّقامَ والأَوْصابا (٤)

كم شَكَوْتَ السُّهادَ لى يومَ كُنَّا * بالبَساتِينِ نَسْتَعِيدُ الشَّبابا (٥)

تَنْهَبُ اللَّهْوَ غافِلَيْنِ وكُنَّا * نَحْسَبُ الدَّهْرَ قد أَنابَ وتَابا

فإذا الرُّزْءُ كان مِنَّا بمَرْمَى * واذا حائِمُ الرَّدَى كان قَابا (٦)

حَرَمَتْنَا المَنُونُ ذَيَّاكَ الوَجْـ * ـهَ وذاكَ الحِمَى وتِلْكَ الرِّحابا

وسَجَايَا لَهُنَّ فى النَّفْسِ رَوْح * يَعْدِلُ الفَوْزَ والدُّعاءَ المُجابا

كم وَرَدْنا مَوارِدَ الأُنْسِ منها * ورَشَفْنا سُلافَها والرُّضابا (٧)

ومَرَحْنا فى ساحِها فنسِينا الْـ * ـأَهْلَ والأَصْدِقاءَ والأَحْبابا

---

(١) يقال : أغذ فلان السير وفى السير ، إذا أسرع .

(٢) بلوناك ، أى اختبرناك . والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق فى هذا العصر على المحامى .

(٣) العاب : العيب .

(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة .

(٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .

(٦) قابا ، أى قريبا .

(٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر . والرضاب : لعاب العسل .

obeikandl.com

ثم وَلَّت بَشاشَةُ العَيْشِ عنّا * حِينَ سارُوا فوَسَّدُوك التُّرابا
خِفْتَ فينا مَقامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنَظَّرْ بِجَنَّتَيْهِ الثَّوابا (١)

رثاء أمين (٢) الرافعى بك

أنشدها فى الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى لذكرى الشهداء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أمّا (أَمِينُ) فقد ذُقْنا لمَصْرَعِه * وخَطْبِه مِنْ صُنُوفِ الحُزْنِ أَلْوانا
لَمْ تُنْسِنا ذِكْرَه الدُّنيا وإنْ نَسَجَتْ * للرّاحِلِينَ مِنَ النِّسْيانِ أكْفانا
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبا (٣) * فهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الأَخْلاقِ أَرْكانا
جَرَتْ على سَنَنِ التَّوحِيدِ نَشْأَتُه (٤) * فى اللهِ والرأيِ إخْلاصًا وإيمانا
لَمْ يَلْوِهِ المالُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ به (٥) * (ولو حَمَلْتَ اليه الدَّهْرَ مَلْآنا)
ولَمْ يَلِنْ عُودُه للخَطْبِ يُرْهِقُه (٦) * قَسَا عليه شَدِيدُ العَيْشِ أَمْ لانا
ظُلْمٌ مِنَ القَبْرِ أن تَبْلى أنامِلُه * فكَمْ رَمَتْ فى سبيلِ اللهِ مَنْ خانا

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعى بك فى ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسى المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له فى النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى مدخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثانى عجز بيت للنبى من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أسر بما غيرى الحميد به» ومطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

obeikandl.com

كانت مَطِيَّةَ سَبّاقٍ جوانبُه * يُرْوِيك فيّاضُها صِدْقًا وعِرْفانا (١)

عِشرونَ عامًا على الطِّرْسِ الطَّهورِ جَرَى * ما خَطَّ فاحِشَةٌ أو خَطَّ بُهْتانا

يَحُولُ بينَ رِياضِ الفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طِيبِ مَغْرِسِها وَرْدًا وَرَيْحانا

فَيَنْشَقُّ الذِّهْنُ مِنْ أسْطارِه أَرَجًا * وتُبْصِرُ العَيْنُ فوقَ الطِّرْسِ بُسْتانا (٢)

(أَمِينُ) فارَقْتَنا فى حِينِ حاجَتِنا * إلى فَتًى لا يَرَى لِلمالِ سُلْطانا

إلى أَمِينٍ على أوْطانِه يَقِظٍ * ذِى مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الخَطْبَ جَذْلانا (٣)

أَيَلْبَسُ الحَزَّ مَنْ لانَتْ مَهَزَّتُه * وأنتَ تَخْشُو مِنْ دُنياكَ عُرْيانا؟ (٤)

إنَّ القَناعَةَ كَنْزٌ كنتَ حارِسَه * تَرَى به القُوتَ يا قُوتًا ومَرْجانا (٥)

فما سَعَيْتَ لغَيْرِ المَجْدِ تَكْسِبُه * ولا رَضِيتَ لغَيرِ الحَقِّ إذْعانا

أَوْدَى بكَ (السُّكَّرُ) المُضْنِى ولا عَجَبٌ * أنْ يُورِثَ الحُلْوُ مُرَّ العَيْشِ أحْيانا (٦)

ما هانَ خَطْبُكَ والأخْلاقُ والِهَةٌ * تَبْكِى عليكَ إذا خَطْبُ أمرِئٍ هانا (٧)

(أَمِينُ) حَسْبُكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فأنتَ أَرْجَحُنا فى الحَشْرِ مِيزانا

---

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها : أى التى تفيض بالمعانى والأفكار .

(٢) أرج الزهر : نفحه وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المرة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) .

(٤) الخز : الحرير . ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان ليا لئاصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت ...» الخ : أنه يكتفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل الياقوت والمرجان فى نفاستهما ، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه .

(٦) أودى به : ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد .

(٧) والهة : حزينة .

أَبْشِرْ فإنّكَ فى أُخْـراكَ أَسْعَدُنا * حَظًّا وإنْ كُنْتَ فى دُنْياكَ أَشْقانا

بَلِّـغْ ثَلاثَتَكُمْ عنّا تَحِيَّتَنا (١) * وَاذْكُرْهُمُ ما يُعانِى قَوْمُنا الآنا

وَاضْرَعْ الى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُبْتَهِلًا * أنْ يَحْرُسَ النِّيلَ ممّن رامَ طُغْيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِى وعَيْنُ الشَّـرْقِ تَبْـكِى مَعِى * عـلى الأَرِيبِ الكاتِبِ الأَلْمَعِى (٣)

جَرَى عَصِىُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فـزادَ فى الجُـودِ على الطَّيِّـعِ (٤)

نَقْصٌ من الشَّـرْقِ ومِنْ زَهْـوِهِ * فَقْـدُ اليَراعِ المُعْجِـزِ المُبْـدِعِ (٥)

ليس لِمِصْـرٍ فى رِجـالاتِهـا * حَـظٌّ ولا للشـامِ فى أَرْوَعِ (٦)

مُصابُ (صَرُّوفٍ) مُصابُ النُّهَى * فَلْيَبْكِهِ كـل فـؤادٍ يَـعِى (٧)

كُرِّم بالأَمْسِ وأكْفانُـه * تَنْسُـجُها الأَقْـدارُ للمَصْـرَعِ (٨)

يا صائِـغَ الدُّرِّ لتَكْرِيمِـه * صُـغْهُ لِمَنْعـاهُ مِن الأَدْمُـعِ

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل، ومحمد فريد، وعلى فهمى كامل .

(٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمعى : الذكى المتوقد . (٤) يريد «بعصى الدمع» : الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب عزة وأنفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد . (٧) يعى : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قـــد زَيَّنَ العِـــلْمَ بأَخْـــلاقِه * فعـاشَ مِـلْءَ العَيْنِ والمِسْمعِ

تَواضُـــعٌ والكِبْرُ دَأْبُ الفَـــتَى * خَلَا مِنَ الفَضْـلِ فلَمْ يَنْفَـعِ

تَواضُـــعُ العِـــلْمِ له رَوْعَـــةٌ (١) * يَنْهَار منها صَلَفُ المُـــدَّعِى

وحُـــلَّةُ الفَضْـــلِ لها شارَةٌ * أَزْهَى مِن السَّـــيْفَيْزِ والمِـدْفَعِ (٢)

يُشْبِعُ مَنْ حَصَّـلَ مِنْ عِلْمِـهِ * وهـو مِنَ التَّحْصِـيلِ لَمْ يَشْبَعِ

مُبَكِّرٌ تَحْسَـــبُهُ طالِبًـا * يُسـابِقُ الفَجْـرَ إلى المَطْلَـعِ

قـد غَالَتِ الأَسْـقامُ أَضْـلاعَه * والرأْسُ فى شُـغْلٍ عن الأَضْلُـعِ

ماتَ وفى أَنْمُـلِهِ صـارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فى الضَّرْبِ عن المَقْطَعِ

صاحَبَـه خَمْسِينَ عامًا فلَمْ * يَخُنْ له عَهْـدًا ولَمْ يَخْـدَعِ

مُوَفَّقًـا أَنَّى جَـرَى مُلْهَمًـا (٣) * ما ضَل فى الوِرْدِ عن المَشْرَعِ

لَمْ يَـبْرِه بارٍ سِـوَى رَبِّـه (٤) * ولَمْ يَحُـزْهُ جاهِـلٌ أَو دَعِى

فى النَّقْـلِ والتَّصْنِيفِ أَرْبَى على (٥) * مَدَى (ٱبنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأَصْمَعِى)

---

(١) الصلف : الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضريبة ينبو : كل وارتدعها . (٣) المشرع : المورد الذى يستقى منه . (٤) خفف الياء فى «دعى» لضرورة القافية .

(٥) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء فى هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٢٥٥ هـ . ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة ، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعى ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج الى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ؛ وتوفى فى سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة .

obeikandl.com

أَىَّ سَبِيلٍ للهُدَى لَمْ يَرِدْ * وأَىَّ بابٍ منه لَمْ يَقْرَعِ
يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ ويَخْتَارُه * كالنَّحلِ لا يَعْفُو عَنِ الأَيْنَعِ (١)
فَتَحْسَبُ القُرَّاءَ فى جَنَّةٍ * عُقُولُهُمْ فى رَوْضِها تَرْتَعِى
(صَرُّوفُ) لا تَبْعَدْ فلَسْتَ الذى * يَطْوِيه طاوِى ذَلِكَ المَضْجَعِ
أَسْكَتَكَ المَوْتُ ولكنّه * لَمْ يُسْكِتِ الآثارَ فى المَجْمَعِ
ذِكْرَاكَ لا تَنْفَكُّ مَوْصُولةً * فى مَعْهَدِ العِلْمِ وفى المَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه فى يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ البِلَى بمُلاعِبِ الأَلْبابِ * ومَحَا بَشَاشَةَ فَكِّكَ الخَلّابِ (٣)
وطَوَى الرَّدَى (عَمْرَو) الكِنَانَةِ غافِلًا * ورَمَى شِهابَ دَهائِه بشِهابِ (٤)

(١) لا يعفو عن الأينع، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر فى عصره . ولد ثروت باشا فى سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أول مصرى تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رآسة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ م، وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها . ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيرا، وسافر الى باريس للاستشفاء بها، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سوآس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «بملاعب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفى كتب اللغة أن ميم الفم تشدّد فى الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمرو الكنانة» : تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور، والقوّة على مكايدة الخصوم، وهو فاتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كانَ يَدْرِي يَوْمَ سافَرَ أنّه * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بغَيْرِ إيابِ

حَزِنَتْ عليه عُقُولُنا وقُلُوبُنا * وبَكَتْ، وحُزْنُ العَقْلِ شَرُّ مُصابِ

القَلْبُ يُنْسِيهِ الغِيابُ أَلِيفَه * والعَقْلُ لا يُنْسِيه طُولُ غِيابِ

بالأَمْسِ ماتَ أَجَلُّنا وأَعَزُّنا (١) * جاهًا وأَبْقانَا على الأَحْقابِ

واليومَ قد غالَ الحِمامُ أَسَدَّنا (٢) * رَأْيًا فطاحَ بحِكمةٍ وصَوابِ

رَأْسٌ يُدَبِّرُ فى الخَفاءِ كأنّه * قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَراءِ حِجابِ

حتّى اذا أَرْضَى النُّهَى وتَناسَقَتْ (٣) * آياتُه راعَ الوَرَى بعُجابِ

يَمْشِى على سَنَنِ الحِجا مُتَمَهِّلًا (٤) * بَيْنَ العُداةِ الكُثْرِ والأَحْبابِ

تَتَناثَرُ الأَقْوالُ عَنْ جَنَباتِه (٥) * مِنْ شانِئٍ ومُناصِرٍ ومُحابِ

لا المَدْحُ يُغْرِيهِ ولا يُلْوِى به (٦) * عَنْ نَجْدِه المَرْسُومِ وَقْعُ سِبابِ

حُلْوُ التَّواضُعِ لم يُخالِطْ نَفْسَه (٧) * زَهْوُ المُدِلِّ يُحاطُ بالإعْجابِ

حُلْوُ الأَناةِ اذا يَسُوسُ وعِنْدَه (٨) * أنَّ التَّعَجُّلَ آفَةُ الأَقْطابِ

حُلْوُ السُّكُوتِ كَكَوْكَبٍ مُتَأَلِّقٍ (٩) * والليلُ ساجٍ أَسْوَدُ الجِلْبابِ

(١) يريد بقوله : «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .

(٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكثر : الكثيرة .

(٥) الشانئ : المبغض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والنجد : الطريق البين الواضح ؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأنى فى الأمر .

(٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِى السَّبِيلَ لسالِكِيه ولَمْ يُرِدْ * شُكْرًا ولَمْ يَعْمَلْ لنَيْلِ ثَواب

مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِه لَمْ يَعْتَرِه (١) * قَلَقُ الضَّعِيف وحَيْرَةُ المُرْتاب

يَزِنُ الأُمُورَ كأنَّما هُوَ صَيْرَفٌ * يَزِنُ النُّضارَ بِدِقَّةٍ وحِساب

وَيَحُلُّ غامِضَها بثاقِبِ ذِهْنِه * حَلَّ الطَّبِيبِ عَناصِرَ الأَعْشاب

وَيَقِيسُ شُقَّتَها بِمِقْياسِ النُّهَى (٢) * فتَرَى صَحِيحَ قِياسِ (الأَصْطُرْلاب)

مُتَبَسِّمٌ وعلى مَعارِفِ وَجْهِه (٣) * آياتُ ما يَلْقَى مِنَ الأَوْصاب

شِيَمٌ تَرُدُّ النّاقِمِينَ لِوُدِّه (٤) * وشَمائِلٌ تَسْتَلُّ حِقْدَ النّابِي

يُرْضِى المُرَتِّلَ فى الكَنِيسَةِ صُنْعُه (٥) * كَيْسًا ويُرْضِى ساكِنَ المِحْراب

يَرْتاحُ للمَعْرُوفِ لا مُتَرَبِّحًا (٦) * فيه ولا هُوَ فى الجَمِيلِ مُرائِي

يُرْوِى الصَّدِيقَ مِنَ الوَفاءِ ولَمْ يَكُنْ * بالحاسِدِ النُّعْمَى ولا المُغْتاب

لَمْ يَبْدُ فِينا جازِعًا أو غاضِبًا (٧) * لَاهُمَّ إلّا غَضْبَةَ النُّوّاب

وبُكاؤُه فى يَوْمِ (سَعْدٍ) زادَنِى (٨) * عِلْمًا بأنّ اليومَ يَوْمُ تَباب

---

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهى كلمة يونانية الأصل . (٣) معارف الوجه : ملامحه وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدوّ المعرض عنه وتردّه الى مودّته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا متربحا، أى لا طالبا ربحا . (٧) لاهم، أى اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاتته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب، الخسران .

قامَتْ صِعابٌ فى مَسالِكِ سَـعْيِه * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِّمَتْ بِصعاب (١)

فَظَهِـيرُه عند النِّضـالِ ورُكْنُـه * أَمْسَى حَدِيثَ جَنـادِلٍ وتُراب (٢)

لِلّه سِرٌّ فى بِنـايَةِ (ثَرْوَتٍ) * سُبْحانَ بانِى هٰـذه الأَعْصـاب (٣)

إِنِّى سَأَلْتُ العـارِفين فـلَمْ أَفُـزْ * مِنْهُـمْ عـلى عِرْفانِهِـمْ بِجَـواب

هو مُسْتَقِيمٌ مُلْتَـوٍ، هُـوَ لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هو الوَاعِى، هُوَ المُتَغابى (٤)

هو حُوَّلٌ، هـو قُلَّبٌ، هو واضِحٌ * هو غامِضٌ، هو قاطِعٌ، هو نابى (٥)

هو ذٰلِكَ الطِّلِّسْمُ مَنْ أَعْيَـا الحِجَـا * حَلًّا ومات ولَمْ يَفُـزْ بِطِلاب (٦)

هـوَ ما تَراهُ مُفاوِضًا كيفَ ٱنْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكائِه الـوَثّاب (٧)

لَمْ يَأْتِ مِنْ بابٍ لِصَـيْدِ دَهائِه * إِلَّا نَجَـا بِدَهائِه مِنْ باب (٨)

و يَظَـلُّ يَرْقُبُـه ويَغْـزُو كِبْرَه * بِلُيُـونَةٍ ولَبـاقَـةٍ وخِـلابِ (٩)

---

(١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيـد كان يفاوض الإنجليز فى القضـية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبـل موت سـعد فى وزارة الائتلاف، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للمعاهدة لم يقبل .

(٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .

(٣) بناية ثروت، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى : الحافظ . والمتغابى : مدّعى الغباوة .

(٥) الحول القلب : الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات»، للفقيد، وفى «يفز» : للحجا .

(٧) كبيرهم، أى كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا، وهو الذى كان يفاوض الفقيد إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفى «نجا» : لثروت .

(٩) الخلاب : المخاتلة والدهاء .

(١)
ويَروضُه حتى يَرى أسطولَه * خَشَبًا تَتاثَرُ فوقَ ظَهرِ عُبابِ
(٢)
ويَرى صُنوفًا مِنْ ذَكاءٍ صُفِّفَتْ * دُونَ الحِمَى تُعْيِي أُسودَ الغابِ
(٣)
وأتَى بأقصى ما يَنالُ مُفاوِضٌ * يَسْعَى بغَيرِ كَتائِبٍ وحِرابِ
(٤)
واستَلَّ مِنْ أَشْداقِ آسادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْهِ بالأَنْيابِ
(٥)
خَلَقًا خَبا ضَوْءُ الهِلالِ لِطَيِّهِ * جَمَّ التَّوَجُّعِ دامِيَ الأَهْدابِ
فاخضَرَّ فَوْقَ رُبُوعِ مِصْرٍ عُودُه * فى مَنْبِتٍ خِصْبٍ ورَحْبِ جَنابِ
(٦)
إنْ فاتَه بَعْضُ الأَمانِى فاذْكُرُوا * أنّا أَمامَ مُحَنَّكِينَ صِلابِ
(٧)
قد جازَ تِيْهاءَ الأُمُورِ ولَمْ يَكُنْ * فى وَعْرِها وكُؤُودِها بالكابِى
(٨)
رَجُلٌ يُفاوِضُ وَحْدَه عَنْ أُمَّةٍ * إنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعابِ
(٩)
رَفَعَ الحِمايَةَ بَعْدَمَا بُسِطَتْ عَلَى * أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وأَيَّدَتْ بِكِتابِ

(١) يروضه، أى يسوسه، وأصله من رياضة الدواب، أى تذليلها وتيسير ما صعب منها . والعباب : لجة البحر . (٢) الحمى، أى مصر؛ يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها . (٣) الكتائب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك . ويريد « بآساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعمرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى العاصبين . وخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالمحنكين الصلاب » : الإنجليز . والمحنك : الذى أحكمته التجارب . (٧) التيهاء : الصحراء التى يضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صعدها . والكابى : العاثر . (٨) فوزا، أى فوزا كاملا . والعاب : العيب . (٩) يريد الكتاب الذى أرسلته حكومة الإنجليز الى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

obeikandl.com

وأتى (لِمِصْـــرَ) وأَهْلِها بسِيادَةٍ * مَرْفُوعَةِ الأَعْلامِ والأَطْنابِ

غَفْرًا فَلَسْتُ ببالِغٍ فيكَ المَدَى * إِنِّى غَذَذْتُ إلى مَداكَ رِكابِى (١)

كم مَوْقِفٍ لكَ فى الجِهادِ مُسَجَّلٍ * بشَهادَةِ الأَعْداءِ والأَصْحابِ

فى خَطْبِ مِصْرَ (لِبُطْرُسٍ) أَحْمَدْتَها * مَشْبُوبَةً كانَتْ على الأَبْوابِ (٢)

أَلَّفْتَ بَيْنَ العُنْصُرَيْنِ فأَصْبَحَا * رِفْقًا، وكنتَ مُوَفِّقَ الأَسْبابِ (٣)

خالَفْتُ فيكَ الحازِمِينَ فلَمْ أَنُحْ * حُزْنًا عليكَ وأَنْتَ مِنْ أَتْرابِى

النَّوْحُ فى الجُلَّى اجْتِهادُ مُقَصِّرٍ * أَلْفَى دُعاءَ الصَّبْرِ غَيْرَ مُجابِ (٤)

فأنا الَّذى يَبْكِى بشِعْرٍ خالِدٍ * يَبْقَى على الأَجْيالِ للأَعْقابِ

قد كنتَ تُحْسِنُ بِى وتَرْقُبُ جَوْلَتِى * فى حَلْبَةِ الشُّعَراءِ والكُتّابِ

وتَهَشُّ إِنْ لاقَيْتَنِى وتَخُصُّنِى * بالبِشْرِ فى نادِيكَ والتَّرْحابِ

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الرَّبِيعُ بنَوْرِهِ * تَأْسَى الرِّياضُ عَلَيْهِ غِبَّ ذَهابِ (٥)

---

(١) غذذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد فى أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذى فى كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز فى أوله .

(٢) يشير بهذ البيت والذى بعده إلى الفتنة التى كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا ، وكان الفضل فى إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين الى ما تقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد فى هذه القضية ضد الوردانى ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائبا عموميا .

(٣) رفقا : ملتئمين .

(٤) الجلى : ما جل وعظم من النوائب .

(٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا[1]

[نشرت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِى الجَمِيلِ بِلَا مَنٍّ يُكَدِّرُه * ومُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوَانِ)[2]

تَجْنَازُنَا عَبْقَةٌ مِنْ رَوْضَةٍ أُنُفٍ * اذا أَلَمَّتْ بنا ذِكْرَى (سُلَيْمَانِ)[3]

فقُلْ (لآلِ سُلَيْمَانٍ) إذا جَزِعُوا * رُدوا النُّفُوسَ إلى صَبْرٍ وسُلْوَانِ

ما إنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قبلَ شَيْخِكُمُ * تَحْتَ التُّرابِ وفَوْقَ النَّجْمِ فى آنِ

قَضَيْتَهَا مِئَةً فى كلِّ واحِدَةٍ * تُعِدُّ زادَكَ مِنْ بِرٍّ وإحْسَانِ[4]

فكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الجانِى ولَمْ تَرَه * وكَمْ غَرَسْتَ وكانَ المُعْوِزُ الجانِى[5]

وكم أَقَلْتَ كَرِيمًا عندَ عَثْرَتِه * وكَمْ مَشَيْتَ بصُلْحٍ بَيْنَ إخْوانِ[6]

إنِّى رَأَيْتُكَ قَبْلَ المَوْتِ فى فَلَكٍ * مِنَ الجَلَالِ على جَنْبَيْهِ نُورانِ

نُورُ اليَقِينِ ونُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُما * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِى ووِجْدانِى

على جَبِينِكَ آياتُ الرِّضَا ارتَسَمَتْ * وبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْنانِ[7]

(١) محمود سليمان باشا ، كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا للجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد نيف على التسعين ... . (٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عدّ النعم والصنائع تعييرا بها . (٣) « تجتازنا عبقة » الخ ... ، أى تمرّ بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل ، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير السيئ الحال . ويريد « بالجانى » الأول فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالثانى) : مجتنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

قَسَـمْتَ ما جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ (١) * على بَنِيـــكَ فكنتَ الـوالِدَ الحـانِى

مالٌ حَـــلالٌ مُزَكًّى ما خَلَطْتَ بـــه * مِلِّـــيمَ سُحْتٍ ولا حَقًّا لإِنْسـان (٢)

زَهِـــدْتَ فيها وهَامَ العابِدُونَ لها * بِجَمْـــعٍ فانٍ يُعـانِى جَمْعَـــه فانِى

بِكِسْرَةٍ وكِساءٍ عِشْتَ مُغْتَبِطًا * تُسَـــبِّحُ اللهَ فى سِرٍّ وإِعْلانِ

أَقَـــرَّ عَيْنَيْـــكَ فى دُنْيـاكَ أَنْ رَأَتَا * (مُحَمَّـدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كِيوانِ) (٣)

قَضَيْتَ فى الأَوْجِ مِنْ عِزَّيْكُما وكذا * يَقْضِى (سُلَيْمانُ) فى عِزٍّ وسُـــلْطانِ (٤)

أَنْجَبْتَ أَرْبَعَـــةً سادُوا بأَرْبَعَـةٍ : * فَضْـــلٍ ونُبْـــلٍ وإِحْسانٍ وعِرْفانِ (٥)

أَوْرَثْتَهُـــمْ شَمَمًـا هَشَّ الإِباءُ لَـــه * وأَوْرَقَتْ فى ذُراهُ عِزَّةُ الشَّـانِ (٦)

يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِـــيمًا قـد أَقَامَ لَهُـــمْ * صَرْحًا مِنَ المَجْـدِ أَعْلَى رُكْنَه البـانِى (٧)

كم نِعْمَـةٍ لَكَ يا (مَحْمُـودُ) عِنْـدَ أَبِى * بِشُكْرِها لَكَ عِنْـــدَ المَوْتِ أَوْصَـانِى (٨)

---

(١) النشب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل . ويضرب مثلا فى علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «بسليمان» : نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفنى محمود ، وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشمم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهى فى الأصل ، ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .

(٧) الضمير فى قوله « يذكرن » : للصفات السابق ذكرها فى البيت السابق ، وهى الشمم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندى فهمى مهندس قناطر دير وط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادى والمنن .

تأبين محمد المويلحى بك (١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مِصْرٍ) واختفى * فلتبكه الأقلامُ أو تتقصفا

لهفى على تلك الأناملِ فى البِلَى * كم سطّرتْ حِكَماً وهزّتْ مُرْهَفا

ماتَ (المُوَيلحىُّ) الحسانُ ولم يَمُتْ * حتّى غَزَا «عِيسَى» العُقولَ وثقّفا (٢)

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى مسرح حديقة الأزبكية فى ١٣ يونيه ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ مِنْ دُموعِ عَهْدِ الشَّبابِ * كُنْتُ خبّأْتُها ليَوْمِ المُصابِ (٣)

لَبّيتِ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ) لَمّا * راعَنِى نَعْيُ أكْتَبِ الكُتّابِ (٤)

هَدَّأَتْ لَوْعَتِى وسَرَّتْ قَلِيلًا * عن فُؤادِى ولَطَّفَتْ بعضَ مابى (٥)

مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْشِكَ يَمْشِى * فى احتِسابٍ وحَسْرَةٍ وانتِحاب (٦)

لَمْ يُجاوِزْ مَنازِلَ البَدْرِ عَدًّا * مِنْ بَقايَا الصَّدِيقِ والأَحْباب (٧)

---

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحى بك (فى الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقيد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع وقوة على البكاء . (٤) راعنى : أفزعنى . (٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والحزن .

(٦) فى احتساب ، أى فى طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضعه التى ينزل فيها فى دورانه ، وهى اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

obeikandl.com

لَمْ يَسِرْ فيـه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْـــدَ حَيٍّ مُؤَمَّلٍ أو يُحَابِى

مَوْكِبٌ ماجَ جانِباهُ بحَفْـــلٍ * مِنْ وُفُودِ الأَخْلاقِ والأَحْسَاب (١)

شاعَ فيـه الوَفاءُ والحُـزْنُ حَتَّى * ضاقَ عَنْ حَشْـدِه فَسِيحُ الرِّحاب

فكأنّ السَّماءَ والأَرْضَ تَمْشِى * فيـه مِنْ هَيْبَـةٍ وعِزِّ جَنـاب

تَمَنَّى قَياصِـــرُ الأَرْضِ لَـوْ فَا * زَتْ لَدَى مَوْتِهـا بِهَـذا الرِّكاب

رُبَّ نَعْشٍ قـد شَـيَّعَتْهُ أُلُـوفٌ * مِنْ سَـوادٍ تَعْلُوه سُـودُ الثِّياب (٢)

ليس فِيهِـمْ مِنْ جازِعٍ أو حَزِينٍ * صادِقِ السَّـعْيِ أو أَلِيفِ مُصاب

كنتَ لا تَرْتَضِى النُّجومَ مَحَلًّا * فلِماذا رَضِيتَ سُكْنَى التُّراب!

كنتَ راحَ النُّفُوسِ فى مَجْلِسِ الأُنْـ * ـسِ وراحَ العُقولِ عنـد ٱلخطاب (٣)

كنتُ لا تُرْهِـقُ الصَّـدِيقَ بلَوْمٍ * لا ولا تَسْـتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحاب (٤)

ولئن بِتَّ عاتِبًـا أو غَضُـوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضا كَرِيمُ العِتَـاب

جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّـةً لا تُبَـالِى * بِسُـهادٍ تَعَـاقَبَتْ أم بِصَـاب (٥)

وسَـــواءٌ لَدَيْكَ والرأْىُ حُـــرٌّ * رَوْحُ (نَيْسانَ) أو لَوافِحُ (آب) (٦)

---

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر .

(٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء ويؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله ابريل حيث يكون الربيع . واللوافح من الرياح : الحارّة . وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه فى سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شُجاعًا وَمَا الشَّجاعَةُ إلّا الـ ـصَّبْرُ لا الحَوْضُ فى صُدُورِ الصِّعابِ

(١)
كنتَ نِعْمَ الصَّبُورُ إنْ حَرَبَ الأَمْـ ـرُ وسُدَّتْ مَسَارِحُ الأَسْبابِ

(٢)
كم تَجَمَّلْتَ والأَمانِيُّ صَرْعَى * وتَماسَكْتَ والحظُوظُ كَوابِى

(٣)
عِشْتَ ماعشْتَ كالجِبالِ الرَّواسِى * فَوْقَ نارٍ تُذِيبُ صُمَّ الصِّلابِ

مُؤْثِرَ البُؤْسِ والشَّقاءِ على الشَّكْـ ـوَى وإنْ عَضَّكَ الزَّمانُ بِنابِ

(٤)
كنتَ تَحْلُو بالنَّفْسِ والنَّفْسُ تُشْوَى * مِنْ كُؤُوسِ الهُمُومِ والأَوْصابِ

(٥)
فتُسَرِّى بالذِّكْرِ عنها وتَنْفِى * ما عَراهَا مِنْ غُصَّةٍ وٱكتِئابِ

وتَرَى وَحْشَةَ ٱنفِرادِكَ أُنْسًا * بحَدِيثِ النُّفُوسِ والأَلْبابِ

(٦)
بِنتَ عنها وما جَنَيْتَ وقَدْ كا * نَتْ بَأْساءَها على الأَحْقابِ

(٧)
ونَبَذْتَ الثَّراءَ تَبْذُلُ فيه * مِنْ إباءٍ فى بَذْلِهِ شَرُّعابِ

(٨)
لو شَهِدْتُمْ (محمدا) وهْوَ يُمْلِى * آىَ "عِيسَى" ومُعْجِزاتِ الكِتابِ

وَقَفَتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ المَعانِى * وصُفُوفُ الأَلْفاظِ مِنْ كلِّ بابِ

---

(١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتدّ عليه وضغطه . وسدّت مسارح الأسباب ، أى سدّت مذاهب العيش والرزق .

(٢) تجملت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابى ، أى عواثر .

(٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة .

(٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) .

(٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيد يكثر تلاوته فى آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت الغنى الذى لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

لَعلِمْتُمْ بأنّ عَهْـدَ (ٱبنِ بَحْرٍ) (١) * عادَ الشَّرْقَ بَعْدَ طُولِ ٱحتِجاب

أَدَبٌ مُسْـتَوٍ وقَلْبٌ جَمِيـعٌ (٢) * وذَكاءٌ يُرِيكَ ضَـوْءَ الشِّهاب

عِنْـدَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْـدَ حَـزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحاب

جَـلَّ أُسْـلُوبُه النَّـقِيُّ المُصَـفَّى (٣) * عَنْ غُمُوضٍ ونَفْـرَةٍ وٱضطِراب

وسَمَـا نَقْـدُه النَّزِيهُ عَنِ الهُجْـ * ـرِ فما شِيبَ مَرَّةً بالسِّـباب (٤)

ذُقْتَ فى غُرْبَةِ الحَيَـاةِ عَنـاءً * فـذُقِ اليـومَ راحَةً فى الإياب

بَلِّـغ (البابِلِيَّ) عَـنِّى سَـلامًا (٥) * كَعَبِيرِ الرِّياضِ أوْ كالمَلاب

كان تِرْبِى وكان مِنْ نِعَـمِ المُبْـ * ـدِعِ — سُبْحانَه — على الأَتْراب (٦)

فارِسٌ فى النَّـدَى إذا قَصَّرَ الفُـرْ * سانُ عنـه وفارِسٌ فى الجَـواب

يُرْسِـلُ النُّكْتَـةَ الطَّرِيفَـةَ تَمْشِى * فى رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْىَ الشَّراب

قـد أَثارَ (المُحَمَّـدانِ) دَفِينًـا (٧) * فى فُؤادِى وقـد أَطارا صَـوابِى

خَلَّفَـانِى بَيْنَ الرِّفاقِ وَحِيـدًا * مُسْتَكِينًا وأَمْعَنَـا فى الغِيـاب

---

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لاتفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) الهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط .

(٥) يريد « بالبابلى » : محمد البابلى بك . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض : طيبها . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسى معرّب .

(٦) ترب الإنسان : نظيره فى السن .

(٧) المحمدان، محمد المويلحى، ومحمد البابلى .

رثاء عبد الحليم العلايلى بك (١)

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

يا ابنَ (عَبْدِ السَّلامِ) لا كانَ يَوْمٌ * غِبْتَ فيــه عن هَالَةَ الأَحْرَارِ (٢)

كنتَ فِيهِمْ كالرُّمْحِ بَأْسًا ولِينًا * كنتَ فِيهِمْ كالكَوْكَبِ السَّيَّارِ

يا عَرِيقَ الأُصُولِ والحَسَبِ الوَ * ضّـاحِ والنُّبْلِ يا كَرِيمَ الجِوارِ (٣)

كنتَ فَـرْعًا بدَوْحَةِ العِـزِّ تَأْوِى * تَحْتَ أَفْنـانه عُفـاةُ الـدِّيار (٤)

قَصَـفَتْهُ المَنُـونُ وهْوَ نَضِـيرٌ * مُـورِقٌ عُـودُه جَـنِىُّ الثِّمار

كنتَ تَأْسُو جِراحَهُمْ وتَقِيهِمْ * وتُقِيـلُ العِثـارَ عنـد العِثـار (٥)

خانَ نُطْـقِى ولَمْ تَخُـنِّى دُمُـوعِى * لَهْـفَ نَفْسِى فقَصَّرَتْ أَشْعارى

غَـيرُ بِدْعٍ إذا نَظَمْتُ رِثائى * فى صَدِيقٍ مِن الدُّموعِ الجَوارى (٦)

فِـنَ الحُـزْنِ ما يَـدُكُّ الرَّواسِى * ومِن الحُـزْن ما يَهُـدُّ الضَّوارى (٧)

---

(١) عبدالحليم العلايلى بك ، هو ابن عبدالسلام العلايلى بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك فى النهضة الوطنية زمنا طويلا ، وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين ، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب ، وكان عضوا فى مجلس النواب فى بعض السنين ؛ وتوفى فى ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تاسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقالت فلانا عثرته ، إذا وقع فى خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسى : الجبال . والضوارى : السباع المولعة بالافتراس ، الواحد ضار .

obeikandl.com

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت فى ١٦ يونيه ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ ونَحْنُ أَحْوَجُ ما نَكُونُ * إِلَيْكَ ومِثْلُ خَطْبِكَ لا يَهُونُ

بِرَغْمِ (النِّيلِ) أَنْ عَدَتِ العَوادِى * عَلَيْكَ وأَنْتَ خادِمُهُ الأَمِينِ

بِرَغْمِ (الثَّغْرِ)(١) أَنْ غُيِّبْتَ عَنْهُ * وأَنْ نَزَلَتْ بساحَتِكَ المَنُونُ

أَجَلُّ مُناهُ لو يَحْوِيكَ مَيْتًا * لَيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذاكَ الدَّفِينِ(٢)

أَسالَ مِنَ الدُّموعِ عَلَيْكَ بَحْرًا * تَكادُ بِلُجِّهِ تَجْرِى السَّفِينِ

وقامَ النّادِباتُ بكلِّ دارٍ * وكَبَّرَ فى مَآذِنِهِ الأَذِينِ(٣)

أُصِيبَ بِذِى مَضاءٍ أَرْيَحِيٍّ * به عند الشَّدائِدِ يَسْتَعِينُ(٤)

فَتَى الفِتْيانِ غالَتْكَ المَنايَا * وغُصْنُكَ لا تُطاوِلُهُ غُصُونُ

صَحِبْتُكَ حِقْبَةً فصَحِبْتُ حُرًّا * أَبِيًّا لا يُهانُ ولا يُهِينُ(٥)

نَبِيلَ الطَّبْعِ لا يَغْتابُ خِلًّا * ولا يُؤْذِى العَشِيرَ ولا يَمِينُ(٦)

تَطَوَّعَ فى الجِهادِ لِوَجْهِ (مِصْرٍ) * فما حامَتْ حَوالَيْهِ الظُّنُونُ

ولَمْ يَثْنِ الوَعِيدُ له عِنانًا * ولَمْ تَحْنَثْ له أَبَدًا يَمِينُ

---

(١) يريد « بالثغر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعى بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر ...الخ » : إلى ما كان مألوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون يتعونه التكبير على المآذن فى غير أوقات الأذان . (٤) الضمير فى قوله « أصيب » . للثغر السابق ذكره . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَـنْزِلْ بِعِـزَّته الدَّنَايَا * وَلَمْ يَعْـلَقْ به ذُلٌّ وهُونُ

مَضَى لِسَبِيلِه لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَـبْرَحْ سَرِيرَتَه اليَقِينُ

تَرَكْتَ أَلِيفَـةً تَرْجُـو مُعِينًـا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لها مُعِينُ (١)

تَنُوحُ على القَرِينِ وأَيْنَ منهـا * وقدغَالَ الرَّدَى ــ ذاكَ القَرِينُ

سَمِعْتُ أَنِينَهـا واللَّيـلُ ساجٍ * فَـزَّقَ مُهْجَتِي ذاكَ الأَنِينُ (٢)

فقـد عانَيْتُ قِـدْمًا ما يُعانِي * على عِلّاته القَلْبُ الحَزِينُ

مِنَ الخَفِراتِ قد نَعِمَتْ بِزَوْجٍ * سَمَا بجـلَالِه أَدَبٌ ودِينُ (٣)

أُقامَتْ فى النَّعِـيمِ ولَمْ تُرَوَّعْ * فكلُّ حَياتِهـا رَغَـدٌ ولِينُ

لقـد نَسَجَ العَفافُ لَهـا رِداءً * وَزَانَ رِداءَها الخِدْرُ المَصُونُ

دَهاهَا المَوْتُ فى الإِلْفِ المُفَدَّى * وكَدَّرَ صَفْوَها الدَّهْرُ الخَؤُونُ

فكادَ مُصابُها يأتِى عَلَيْهـا * لِساعَتِها وتَقْتُلُها الشُّجُونُ (٤)

رَبِيبَـةُ نِعْمَةٍ لَمْ تَبْـلُ حُـزْنًا * وَلَمْ تَشْرَقْ بأَدْمُعِها الجُفُونُ (٥)

وَفَتْ لأَلِيفِهـا حَيًّـا ومَيْتًـا * كذَاكَ كَرِيمَةُ (اللَّوْزِى) تَكُونُ (٦)

سَتَكْفِيها العِنَـايةُ كلَّ شَرٍّ * ويَحْرُسُ خِدْرَها (الرُّوحُ الأَمِينُ)

---

(١) يريد «بالأليفة» : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفرات : ذوات الحياء ؛ الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتى عليها : يذهب بها ويهلكها .

(٥) لم تبل حزنا ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء .

(٦) اللوزى : لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المغنى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوَّقْتُمانِى أَيُّها ٱلفَرْقَـدانِ * لِبَدْرِ تَمٍّ غابَ قَبْلَ الأَوانِ (١)

وكُلَّما اَشْـــرَقْتُما مَرَّةً * عَلَّمْتُما عَيْنَىَّ نَظْمَ الجُمانِ (٢)

على عَزيزٍ قـد تَوَلَّى ولَنْ * يَؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ القارِظانِ (٣)

عَجِّلْتَ يا (محمود) فى رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِها أَعْيُنُ حُورِ الجِنانِ

كأَنَّمـا آخِرُ عَهْـدِ الهَنـا * قد كانَ مِنّا لَيلَةَ المِهْرَجانِ (٤)

رثاء حبيب المطران باشا (٥)

أَعَزِّى فيـكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أُعَزِّى * عُفاةَ النّـاسِ ، أَمْ هِمَـمَ الكِرامِ؟ (٦)

وما أَدْرِى أَرُكْنُ ٱلجاهِ أَوْدَى * وقَـد أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشّآمِ؟ (٧)

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سريا من سراة الشام ، وكان قصره فى بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ، وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده فى بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية .

(٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلى

بَـدَأَ المَـاتُ يَـدِبُّ فى أَتْرَابِى * وبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحْشَةَ الأَحْبَابِ

يا بابِلِىُّ فِـداكَ إِلْفُـكَ فى الصِّبَا * وفِدا شَـبابِكَ فى التُّرابِ شَـبابِى

قد كُنْتَ خُلْصانِى ومَوْضِعَ حاجَتِى (١) * ومَقَـرَّ آمالِى وخَـيْرَ صِحابِى

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الكِرامُ مُشَـيَّعًا * بالمَجْـدِ مَبْكِيًّا مِنَ الأَحْبابِ

تعزية المرحوم محمود سامى البارودى باشا فى ابنته

وَدِيعَـةٌ رُدَّتْ إلى رَبِّهـا * ومالِكُ الأَرْواحِ أَوْلَى بِهـا

أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فى بُعْـدِها * يَرْبُو على شُكْرِكَ فى قُرْبِهـا ؟ (٢)

وقال يرثيها أيضا :

بَيْنَ السَّرائِرِ ضَـنَّةً دَفَنُـوكِ * أَمْ فى المَحـاجِرِ خُلْسَـةً خَبَّـأُوكِ؟ (٣)

ما أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِى هٰـذا الثَّرَى * نُزُلًا فَهَـلْ أَرْضَـوْكِ أَمْ غَبَنُوكِ؟ (٤)

---

(١) الخلصان (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا . يقال : هو خلصانى ، وهم خلصانى .

(٢) يربو : يزيد ؛ والمستعمل فى هذا المعنى : أربى يربى .

(٣) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر ؛ والمراد هنا : موضعه . وضنة ، أى بخلا بها . والمحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . « يريد » أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها فى ضمائرهم أو فى عيونهم ، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

يا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يَعِزُّ على الوَرَى * لَمْسُ التُّرابِ لِجِسْمِكِ المَنْهُوكِ (١)

تَرَكُوا شَبابَكِ فيه نَهْبًا للبِلَى * واهًا لِغَضِّ شَبابِكِ المَتْرُوكِ (٢)

وحَثَوْه فوقَ سَنائِكِ ياشَمْسَ الضُّحَى * فبَكَى له بَدْرُ السَّماءِ أَخُوكِ (٣)

داسَ الحِمامُ عَرِينَ آسادِ الشَّرَى * يا لَيْتَ شِعْرِى أينَ كان أَبُوكِ؟ (٤)

عَهْدِى به يَلْقَى الرَّدَى بمُهَنَّدٍ * يَعْلُوه غِمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ (٥)

يا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وأنتِ عَلِيمَةٌ * بطَرِيقِ هٰذا العالَمِ المَسْلُوكِ

عَهْدُوكِ لا تَتَصَدَّعِينَ لحادِثٍ * أَوَ أَنْتِ باقِيَةٌ كما عَهِدُوكِ (٦)

هٰذا التُّرابُ — وأنتِ أَعلمُ — مُلْتَقَى * هٰذا الوَرَى مِنْ سُوقَةٍ ومُلُوكِ (٧)

هل أنتِ إلّا بَيْنَ جَنْبَيْ ماجِدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ للخُطُوبِ ضَحُوكِ (٨)

يُغْضِى بحَضْرَتِه الزَّمانُ فيَلْتَقِى * عِزُّ المَلِيكِ وذِلَّةُ المَمْلُوكِ (٩)

---

(١) المنهوك : المجهود المضنى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدّع : التشقق .

(٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لاينقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحيى منه ويهابه .

ملاحظة — أشير فى نهاية هذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ، وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

"من مرثية وهمية"

بلغ حافظا أن چورچ الخامس ملك انجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هـذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة فى رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هـذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما :

إنّ الّذى كانت الدّنيـا بقَبْضَـتِهِ * أَمْسَى مِن الأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِراعانِ

وغابَ عن مُلْكِه من لَمْ تَغِبْ أبدًا * عن مُلْكِهِ الشَّمْس مِنْ عِزٍّ وسُلْطانِ

* * *

تم ديوان حافظ ابراهيم

obeikandl.com